عهد الرسول العربي

وهو حجة للنصارى على المسلمين وللمسلمين على النصارى

تأليف

الاستاذ عبدالله الرباشي اللبناني

المطبعة الوطنية

١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م

اهداء الكتاب

الى كبير قومه ومناط آمالهم ومسند زعامتهم السيد ملحم ابراهيم سماحه مرشح نيابة المتن في الانتخاب السابق

الف غيري من الكتبة والمصنفين ان يزينوا صدور كتبهم وصحفهم باسماء الملوك والعظماء اكباراً وتزلفاً وخالفت مذهبهم باهداء كتابي هذا الى عصامي من نخبة افراد لبنان انبتته تربة القرية الخضراء وانجبته عائلة بني سماحه فكان مثلاً عالياً للشهامة والنبل وعلماً بارزاً من اعلام السماحة والفضل

لعب الرجل في حكومة الدباس دوراً هاماً وكان بريء الساحة طاهر الذيل ورشح في حكومة اده نائباً عن الروم الكاثوليك في المتن فحامت عليه الابصار واتجهت اليه الافكار

هو منشيء مصيف بولونيا في غابات المروج وضهور الخنشاره واشهر مقاولي لبنان ومعتمدي الاشغال النافعة في حكومته منذ عهد بعيد

لاذ ببابه الادب فاعلى مناره واستجار به الاديب فاجاره على حين ترى في البلاد مئات من الاغنياء لاتذكر لهم في جانب الادب عاطفة ولاتندى اكفهم على البر بعارفة وخير الناس من نفع الناس فتوبل في حياته بجميل الشكر وجوزي بعد مماته بجزيل الاجر

واقراراً بما لهذا الذات من المفاخر والايادي البيضاء اهديت اليه هذا الكتاب وحليت بجمال اوصافه صورة الاهداء

مقدمة الكتاب

شخصية علي بن ابي طالب ومكانته في الاسلام

لحضرة الاديب المفكر والكاتب النقادة الاستاذ
اناتول مراد احد خريجي الجامعة الاميركانية

احمد الله الذي انزل على السنة انبيائه واعوانه آيات الوحي والالهام في توراته وانجيله وقرآنه، سبحانه جل جلاله لم يختص شعباً دون شعب بدينه وايمانه، ولم يميز سنياً عن شيعي بنعيم حوره وجنانه

واما بعد فقد رغب الى صديقي مؤلف هذا الكتاب ان ان انشيء رسالة قيمة في السيد علي بن ابي طالب رضي الله عنه فحاذرت الموقف واعظمت المطلب، لعلمي ان التصدي لهذا الموضوع الجليل من ادق مايكتب واما المقدمة فهذه :

ليس اعجابي بعلي بن ابي طالب اقل من اعجابي بمحمد بن عبدالله

ان الرسول حبيب الله وعلياً حبيب الرسول ونزولا على هذه القربة كان الرجل انبل رجال الصحابة واحقهم بالخلافة

اذا كان الله اختص محمداً لرسالته، فقد اختار علياً لارشاد امته،

فافاض على الاول الوحي وعلى الثاني العلم والحكمة ، وساء طالع علي فمات الرسول قبل ان يشتد ساعده . ويعظم ايده ، فأثر ذلك على حياته ومستقبله وضعضع قوة الاسلام

وعلا قدر الرجل بنفسه ، وعظمت فضيلته فكثر في المسلمين حساده ، وانكر حقه في الخلافة اضداده ، فساعد على ظهور الفتنة وفشو الخلاف والشقاق بين المسلمين .

واتفق ان علياً كان نقي الدخلة طاهر القلب ، وخصمه معاوية ابن ابي سفيان كان ذا حيلة ودهاء فغلبه على امره في السياسة وزين لخصومه انه غير بريء من مقتل عثمان ففرق الكلمة وافسد .

حسبه ونشأته

هو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ولد في مكة سنة ٦٠٠ ومات ابوه وهو في السادسة من عمره فاخذه ابن عمه محمد الى بيته وتوفر على تربيته بكل ما في قلبه من حب له وعطف عليه متوسماً فيه خيراً عاقداً على ذكائه ونباهته املاً

حبه للنبي وايمانه

واجتمعت لعلي بحضانة الرسول له قرابة الرحم وقربة الروح فشب على حبه والعمل على مرضاته ولما جاهر بدعوته تبعه علي على الاسلام وهو غلام فكان اول من اسلم بعد خديجة وبرّ بايمانه للرسول واخلص وكان يذوب غيرة على الاسلام ويتهالك في ارضاء

ابن عمه ولما هدده اهل مكة واجبروه على الهرب منها اقام علياً مكانه في منزله ثم تبعه هذا الى يثرب ومن هناك رافقه في غزواته وحروبه

شكله واوصافه

كان علي متوسط القامة الى القصر اسمر اللون اصلع ثقيل العينين وافر الشعر عظيم اللحيـة جميل الطلعة بشوش الوجه عبل الذراعين والساقين ضخم العضلات شديدها. وكان متواضعاً زاهداً قنوعاً يحب التصدق والاحسان . قال ضرار بن ضمرة وهو من خواصه كان علي يعجبه من الطعام ماخشن ، ومن اللباس ماقصر . يجيبنا اذا دعوناه ، ويعطينا اذا سألناه ، وكنا والله على قربتنا منه لا نكلمه هيبة له .

انصاره وبيعته

وتم لعلي بعد اخفاقه مراراً في البيعة ان قوماً من المهاجرين والانصار اجتمعوا وبايعوه بالخلافة وراب مقتل عثمان بعضهم فتقاعدوا عنه ، واعرض عنه كذلك زعماء قريش واشراف المدينة لسبب عينه ، ثم تخلى عنه اقرب قومه الهاشميين كعائشة زوجة النبي وابنة ابي بكر ورجال حزبها وكانت ترغب في طلحة وتكره عثمان وكثيراً ما اثارت القوم عليه . وبينما هي راجعة يوماً من الحج اخبرت بمقتل عثمان فسرت في نفسها ظانة ان الخلافة تؤول الى طلحة ولما بلغها خبر مبايعة علي تغيرت عما كانت عليه وصاحت واعثماناه ماقتله الا علي

وعلم بالامر طلحة والزبير وكانا قد بايعا علياً فرجعا عن مبايعتهما وانضما الى عائشة فقوي حزب المعارضة وكان معاوية يرقب عن بعد عاقبة تلك الفتنة الاهلية ويعمل على اضرام نارها كلما وجد الى ذلك سبيلاً .

ولما انتشر حزب المعارضة جاهر بعدائه لعلي واخذ يطالبه بدم الخليفة الشهيد كما تدل على ذلك رسائله الى علي ولم يكن ذلك لحزنه على عثمان ورغبته في اخذ ثاره وانما كان ذلك حسداً منه وطمعاً بشق المسلمين عنه .

بأسه وشجاعته

ورأى علي ان يتدارك امره مع حزب المعارضة قبل استفحال شره فهب لاخماد الفتنة حال شبوبها باخضاع العراق والشام وللحال غادر المدينة الى البصرة حيث خيم حزب عائشة وطلحة والزبير فالتقى القوم امام المدينة في قرية تدعى الخريبة وكانت عائشة راكبة جملا تثير حمية الرجال من هودجها الاحمر .

فانتشب القتال وكان ذلك اليوم شديد الوطأة على حزب المعارضة قتل فيه الزبير وجرح طلحة جرحاً بليغاً مات من تأثيره ورمي هودج عائشة فكان كالقنفذ من وقع النبال وقطع على خطام الجمل سبعون يداً ، ثم انتهت المعركة بانتصار علي في ١٠ جمادى الثانية سنة ٣٦ ويقدر المسعودي قتلى معركة الجمل بثمانية عشر الفاً

حروبه وغزواته

وحزن علي لمصاب المسلمين في هذه المعركة وبكى القتلى ورفق بالجرحى بينما كان خصمه معاوية يستغل الفتنة ويحرض المحاربين على المقاومة ويجمع جيوشه لمصادمة جيوش علي في كل مكان ولما رأى ذلك علي منه شجع قومه على متابعة القتال وسار زاحفاً على جيوش معاوية وكان قائد جيوشه في الكوفة الاشتر النخعي ومن هناك مشى في ٥ شوال سنة ٣٦ على المدائن فدخلها وقطع الفرات الى الرقة فالتقى بجيوش معاوية في سهول صفين وهي موضع غربي الرقة على ضفة الفرات اليمنى فابتدأت بين الفريقين في باديء الامر مناوشات طفيفة لان القوم كانوا يتوقعون الصلح القريب

وكان اول الحوادث ان جيش معاوية امتلك الماء على جيش علي فنزعه عنه الاشتر وسمح لجيش معاوية بالشرب ثم اتفقا على الهدنة مدة شهر محرم فكان يجتمع الفريقان وينسيان الحرب مؤملين خيراً بقرب وقوع الصلح .

وترادفت الرسائل بين علي ومعاوية وفي اكثرها يطالب معاوية بثار عثمان وعلي يدعوه الى الطاعة حتي انقضى محرم فعادت المناوشات بين الجيشين اشد من ذي قبل وامر علي كل قبيلة من العراق ان تكفيه شر اختها من الشام وكان اشد زمن الحرب وقعاً ليلة الهرير الجمعة ١٠ صفر سنة ٣٧ فحمل فيها الاشتر حملة زعزعت

جيوش الشام عن مراكزها واخافت معاوية فتضعضع .

واذ كان جيوش العراق يسيرون للنصر رأوا المصاحف اي نسخ القرآن مرفوعة على رؤوس الحراب في جيش معاوية فهابوا متابعة الحرب واسقط في يد علي اذ فطن لحيلة خصمه وقيل ان عمراً ابن العاص قد ابتدع هذه الحيلة .

ثم اقترح معاوية اقامة حكمين يفصلان في المسألة بما يأمر به كتاب الله فرضي علي مرغماً فاقام معاوية عنه حكماً عمراً بن العاص واجبر علي على قبول ابي موسى الاشعري واجتمع الحكمان في اذرح قرب دومة الجندل لسهولة الوصول اليها ووفرة مائها وحرر في ذلك صك يبين الشروط التي يجب البحث فيها قد اضربنا عن سردها لضيق المقام وفي ذيلها تواقيع الشهود وابى الاشتر ان يوقعها لانها جعلت علياً ومعاوية في كفة واحدة مع ان علياً كان الغالب ومعاوية المغلوب وانما كان في التحكيم وشروط الاتفاق حيف وافتراء على علي

واصر علي على رفض الحكم بعد اضطراب الجيش فخرج حزب عليه ولم يذهبوا معه الى الكوفة بل ساروا الى حروراء ثم احتلوا المدائن واكثروا فيها من الفساد نابذين الطاعة وشعارهم لا حكم الا الله وكان علي يستعد لاعادة الكرة على معاوية فبلغه ما يأتيه الخوارج من الفظائع فسار اليهم حتى اصطدم بجموعهم في النهروان فاكثر فيهم القتل وارجع بعضهم سلماً وضمهم تحت لوائه .

المؤامرة عليه ومقتله

وعاد علي الى الكوفة يستعد للقتال واستمر معاوية على مطالبته بدم عثمان فحنق المسلمون عليهما وصمموا على قتل الزعماء الثلاثة علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، اما معاوية وعمرو فهربا واما علي فادركه ابن ملجم بالمسجد في الكوفة فضربه بسيف مسموم شق جبهته فمات بعد ثلاثة ايام وكان عمر علي وقتئذ ٦٣ سنة وانتقم من قاتله شر انتقام واختلف الناس في موضع قبره والراجح انه دفن في الكوفة .

ادبه وبلاغته

كان علي افصح وابلغ اهل زمانه واغزرهم علماً واوفرهم ادباً واوسعهم حكمة وادبه لايقتصر على صياغة نثر وقرض شعر وانما ادبه ادب النفس المتصفة بالفضيلة والكمال ، ونفس علي امتازت بالمواهب والقوى العلوية ورفعت شخصيته على كل شخصية من عظماء العرب فهناك قوة المخيلة في علي وهي تحسن استحضار الصور وتمثيلها كما يظهر ذلك في تعابيره وتشابيهه المحكمة عندما يريد ان يصور الاشياء وهل اجمل واحكم في تصويره عراك الحياة من قوله : اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع . وتصويره الرتب والمناصب ومقادير الرجال بقوله : الولايات مضامير الرجال والولاة كخيل السباق وكقوله مشيراً الى غلبة الحق على الباطل :

من صارع الحق صرعه وامثال كثيرة في اقواله وحكمه قد اقتصرنا منها على هذا القدر لشهرتها وتدهشك منه قوة عقله في المنطق وبلاغة التعبير عنها في رسائله ونصائحه وهذا انموذج منها في كتابه الى احد عماله : دع الاسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفاضل ليوم حاجتك اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين وانت عنده من المستكبرين . اوتطمع وانت سادرٌ في نعيم تمنعه اليتيم والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين وانما المرء مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم والسلام

ومن ابلغ واروع كلامه قوله لمن افرط يوماً في مديحه وهو ليس من مريديه : انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

نهج البلاغة

للشراح والمؤرخين في نهج البلاغة اقوال ومذاهب شتى فنهم من ينسبه كله الى علي ومنهم من ينسب بعضه الى غيره فابن خلكان نسبه الى جامعه وتابعه الصفدي وغيره وقال المستشرق كليمان هوارا ان علياً بن طاهر المعروف بالمرتضى هو مؤلف الكتاب. وتعدد فيه الشراح الى ان بلغوا الستة والعشرين واشهرهم من الاقدمين عبد الحميد المعتزلي شرحه شرحاً مطولاً في عشرين جزءاً ومن المعاصرين الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية شرحه في جزئين طبع مرتين في بيروت تحت مناظرة الشيخ محيي الدين

الخياط سنة ١٣٢٩ - ١٩١١

وكتاب نهج البلاغة يدور على ثلاثة : اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ

ويقول الشيخ محمد عبده انه يحتوي جميع ما يعرض للكاتب والخاطب من اغراض الكلام فقد تعرض للمدح والذم وللترغيب في الفضائل والتنفير من الرذائل مع المحاورات السياسية والمخاصمات الجدلية وبيان حقوق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد السامية

وعلى الجملة فقد قال فيه البلغاء : هو دون كلام الله وفوق كلام المخلوق . والمسلمون في علي فريقان فريق احبوه الى حد العبادة فكفروا وفريق ابغضوه الى حد الجنون فكفروا ايضاً واما المسيحيون فيعتبرونه في الاسلام كبولس الرسول في النصرانية ومن كان هذا شأنه عند الامتين فاحر به ان يكون عظيماً وان يتميز عن كل امام وخليفة في الاسلام .

« م »

عهد الرسول العربي

وهو حجة للنصارى على المسلمين
وللمسلمين على النصارى

....

تأليف

الاستاذ قبلان الرياشي اللبناني

سلسلة مطبوعات [الاهلية]

المطبعة الوطنية

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

المكتبة الأهلية
في بيروت
للطبع والتأليف والترجمة والنشر

مقدمة المؤلف

مهما يكن من براعة الكتاب في مقدماتهم، وتفننهم بتصوير ما عندهم من نتاج الفكر واعلان الادب الناضج، فاني احتفظ لنفسي بحق انشاء مقدمتي هذه لانها تعرفني الى القراء، وتنم عن افكاري ومبادئي الذاتية، ولاسيما اذا اسفرت عن مغزى التأليف وغرض المؤلف

والمقدمة تتولى تعريف الاديان وكشف اسرارها وشرح مبادئها منذ كانت الى اليوم وتردف ذلك بدرس وتحليل دقيقين يدعو اليهما العلم وحد الفلسفة في هذا العصر

الدين ما دان به المخلوق للخالق سبحانه وتعالى، واتخذ عبادته ديناً املا بالثواب، وخشية من العقاب فهو فطري في الانسان يدعو اليه اثنان: ميل العقل الى كشف المجهول، وحب البقاء والخلود ولولا هذان العاملان لما اعتقد احد بالاله ولا دان بدين.

ومعنى الدين لغة الطاعة والجزاء من دان يدين ومن الدين بمعنى الشيء غير الحاضر والجزاء مجهول ايضاً والطاعة تنتظر بعد

الامر واذا اقتصر معناه على اختصاصه بجماعة دون سواها وانتمائه اليها فهو الملة

وفي مفهوم كلام القرآن : الدين يراد به الطاعة والجزاء واستعير للشريعة اذا شمل الدين والدنيا معاً كدين الاسلام وفي تفسير النيسابوري : الدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سميت ديناً لانها سبب الجزاء

وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني : الدين هو الطاعة والانقياد والحساب والجزاء ثم يجعل بمعنى الشريعة والملة ويقول المستشرق ماكدونلد : الدين ثلاث كلمات كلمة عبرية بمعنى حكم وكلمة عربية بمعنى العادة والدين ، وكلمة فارسية بمعنى الملة ، والقرآن نفسه يسمي ما كان عليه العرب ديناً كما في آية ٦ سورة ١٠٩ لكم دينكم ولي دين – عطفاً على الآية التي يقول بها تلميحاً الى اديان العرب كافة : «ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد»

اما مذهب الصابئة فيقر بالالوهية ولكنه يرى انا نحتاج في معرفة اوامره واحكامه الى وسيط وهذا الوسيط يجب ان يكون روحانياً لا جسمانياً ففزعوا الى هياكل الارواح وهي الكواكب فهم عبدة الكواكب

واما المجوس فهم ثنوية اثبتوا للعلم اصلين مدبرين يقتسمان الخير والشر احدهما يسمى النور والثاني الظلمة، والمجوس الاصلية زعموا ان الاصلين لا يجب ان يكونا قديمين ازليين بل النور ازلي والظلمة محدث، والمجوس يعتقدون ايضاً ان الدين يجب ان يكون بواسطة نبي وان يعتمد على كتاب

وكلام القرآن يدلنا ان الدين لا يكون الا وحياً من الله الى انبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم ائمة يهدون الى عبادة الله الواحد الاحد ، وعليه الاية : كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن • قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ، وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون — انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما (سورة ٤ النساء آية ١٦٣ ١٦٤ ، ١٦٥) وقال تعالى : وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه — فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع

اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم — فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (سورة ٤ المائدة آية ٤٨)

قال الطبري ثم ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبره انه انزل الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وامره بالعمل بما فيه والحكم بما انزل اليه فيه دون ما في سائر الكتب غيره واعلمه انه جعل له ولامته شريعة غير شريعة الانبياء والامم قبله الذين قص عليه قصصهم وان كان دينه ودينهم في توحيد الله والاقرار بما جاءهم من عنده والانتهاء الى امره ونهيه واحداً فهم مختلفو الاحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولامته فيما احل لهم وحرم عليهم .

وآيات القرآن على الدين والوحي وما اختص به النبي وامته دون غيرهما كثيرة وفي التوراة اليهودية آيات ما اختص به اليهود وآثرهم على خلقه وجعلهم له شعباً خاصاً وكلم موسى وانزل عليه ما انزل لهداية قومه وارشادهم

وفي الانجيل آيات ما ميز به الله النصارى من ارسال روحه ونفحته القدسية في شخص الناصري مؤيداً بقوة من عنده ومعجزات لم يأتها نبياً ورسولا من قبله. والاديان كلها اذا تتبعناها

بنصها وفصها تنشد املا ، وتتقصى مجهولا ، وتتخوف قوة خفية معاقبة ولم تقم الحجة القاطعة عقلا وعلما على نهاية ما هنالك من الامور والاسرار وعليه تضاربت الاميال والاقوال وتخبطت الاجيال في ظلمات من التيه والريب بعضها فوق بعض ولن تنجلي هذه الظلمات الا يوم يأتي الله في متون السحاب لاعلان يوم الدين والحساب

اما الدين في الفلسفة فهو تقويم النفس في دنياها لتنال الثواب والسعادة في اخراها . واما الدين في الشرع فهو التزام التقوى والعدل للسير بالناس على جادة النور والحق نحو الصلاح والكمال

فاذا اعوجت النفس وفسد الشرع بالخروج عن العدل والصراط المستقيم فسد الدين وزاغت مباديء الفلسفة عن محجة الحق والهدى فادت بالانسان الى الكفر والفوضوية الوبيلة

قال ابن رشد في كتاب فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال: وينبغي ان نعلم مقصود الشرع انما هو العلم الحق والعمل الحق اما العلم الحق فهو معرفة الله تعالى ومعرفة سعادة الاخرى وشقائها. واما العمل الحق فهو التزام الاعمال التي تؤدي الى السعادة وتجنب الاعمال التي تؤدي الى الشقاء

وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل : ان السعادة لا تنال الا بالحكمة والحكمة تتطلب علم الشيء والعمل به وكذلك

انقسمت في ذاتها الى قسمين : قسم علمي وهو علم الحق ، وقسم عملي وهو عمل الخير

فالدين اذن يطابق حدّي الفلسفة والشريعة لانه يهدي الى علم الحق ويأمر بعمل الخير ولا يعلم دين في العالم غير هذا فالاديان القويمة كلها صالحة وانما فسد العباد بخروجهم عن سننها وتعاليمها الصالحة وفسد اربابها بتنكبهم عن طريق الحق والفضيلة فادى ذلك الى انتشار العدمية والفوضى وانكار وجود الله والكفر برسله وانبيائه وانقلب على المجتمع بالويل والبلاء

وليس اوقع وانجع في اصلاح حال المجتمع من التوفيق بين الدين والشريعة والفلسفة ورد المؤمنين والعباد قاطبة الى اقوال الانبياء والرسل واتباع سيرهم ومُثُلهم العليا

وهذا ما الجأني الى وضع هذا الكتاب رداً للمسلمين والنصارى جميعاً الى مشيئة الله عز وجل ومثال الرسول وعهده الذي اوجبه على المسلمين خاصة واكد عليهم العمل به حفظاً لدينه وملته وضناً بالامة العربية جمعاء ان تصير بالخلاف والشقاء الى الويل والبوار

واني لاعتقد بعد اطلاع سواد الامة على هذا الكتاب بانه سيحدث انقلابا عاما في الميول والافكار ، ويدفع حكام وسواس هذا الزمان مسلمين ومسيحيين لاصلاح خطيئة اولئك الاسلاف

والتأليف بين النفوس المتنافرة، والقلوب المتباعدة توطيداً لاركان الاخاء والاتحاد بين عناصر الامة العربية وصفوفها ، وتفاديا من سعي الدول الغربية بينها بالخلاف والتفرقة، والتوسل بهذه العوامل الدينية النفسية ، الى تفكيك عرى الامة وتمزيق اوصالها وكفى بروح الرسول المقدسة وعهده الشريف دليلا على حلمه وعدله العربي ، وحجة على من يتخذ الدين والقرآن اداة لاذلال اخيه العربي وآلة للسيادة والانتقام



شواهد القرآن

—« على اليهود ، والمسيح ، والنصارى »—

قال في سورة البقرة من آيات : ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرُسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبُنا غلفٌ بل لعنهمُ الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ، ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقُّ مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبلُ ان كنتم مؤمنين . قل إن كانت لكمُ الدارُ الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا الموتَ إن كنتم صادقين . ولن يتمنوهُ أبداً بما قدمت أيديهم

والله عليمٌ بالظالمين . ولقد أنزلنا إليك آياتٍ بيناتٍ وما يكفرُ بها إلاّ الفاسقون، أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم بل أكثرُهم لا يؤمنون، ولمّا جاءهم رسولٌ من عندالله مصدقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

الى أن يقولَ وهو لبابُ الدين : وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله إنّ الله بما تعملون بصيرٌ ، وقالوا لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان هوداً أو نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ...

ومن أحسن ما قالَ في هذا المعنى : بلى من أسلمَ وجهَهُ لله وهو محسنٌ فله أجرُهُ عند ربهِ ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . وقالتِ اليهود ليستِ النصارى على شيء وقالتِ النصارى ليستِ اليهود على شيء وهم يتلون الكتابَ كذلك قالَ الذين لا يعلمون مثلَ قولهم فالله يحكم بينهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيه يختلفون

وقال في سورة المائدة من آياتٍ : وعدَ اللهُ الذين آمنوا

وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ، يا أيها الذين آمنوا إذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم فاتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منكم اثني عشر نقيباً وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعززتموهم واقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون

إلى أن يقول : لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ، وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله

واجباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير . .

عند هذا القدر نقف من الشواهد القرآنية وفيه غنية عن المزيد لاثبات ما نعزوه إلى الاديان من مختلف اللهجات والنزعات في بث روحها ونشر تعاليمها والجوهر واحد والغاية واحدة وهي الله وما بقي منها انغام والحان لفظية تؤدي اثر الايمان الى النفس وتمت الى الله عز وجل والقرار الاخير الثابت في النفس والقلب معاً هو حب الله والاتحاد به والآلة الموسيقية التي تعزف بهذا النشيد السماوي الساحر هي العمل الحق اي عمل الخير الذي يأمر به كل دين وينهى عن الشر وعليه قول القرآن وعد الله الذين عملوا الصالحات الخ . . والحكيم العاقل من نظر في الكتاب الى معناه وروحه لا الى لفظه وشروحه فلا عبرة بكثرة الالفاظ والشروح اذا كان المعنى واحداً وهو تقويم النفس والقصد واحداً وهو عبادة الله كيفما كانت تلك العبادة اه .

الديانات الوثنية والامم القديمة

كان العالم قبل مولد المسيح عليه السلام، وظهور محمد صلى الله عليه وسلم يتسكع في دياجير الخرافات والترهات الوثنية سحابة قرون متطاولة وكانت الامم بقدر ما ترق بآثار الثقافة وصنائع المدنية تنحط انحطاطاً بآلهتها وعبادتها الباطلة

وما ادري والله كيف استطاعت تلك الامم على هذه الحال ان تخلف للعصور ارثا ضخما من حضارتها وتخلد لها في التاريخ ذكراً مجيداً

ولعل هذا في نظرهم دليل على ان الدين يسير وحده والمدنية تسير وحدها فما يتحاكان ولا يتلاقيان والدين عندهم ان صحيحاً وان فاسداً لا يؤثر على سير العلم ونمو المبادىء المدنية فسواء اعتقدت باله واحد او بآلهة عديدة فذلك لا يغير قضية علمية او قاعدة رياضية يبنى عليهما نظام المجتمع وناموس الكون العام

فاين والحالة هذه دليل الذين يعتقدون بان الاديان تنفق وتمدن الشعوب والاديان عينها كانت ولا تزال تثير العداوات والحروب

الطاحنة وتقود العباد الى المجازر والفظائع الدموية الهائلة . ففي ارض اسبانيا الكاثوليكية حيث كان ديوان التفتيش الاحمر يسفك دماء الكاثوليك المرتدين بايدي اخوانهم الكاثوليك المتعصبين — تشتعل اليوم ثورة الاسبان انفسهم لاصطدام مباديء دينية بمبادي غير دينية وتؤدي ثمناً لها دماء الالوف من الاسبان الابرياء

بين روما وبرلين وموسكو ومدريد مجازر في مجازر ودماء في دماء والكنائس العظيمة التي كانت من قديم الزمان تهز عروش الملوك وتقلب الممالك لاقل كلمة يقولها احبارها العظام تقف اليوم مذعورة مكتوفة الايدي امام اهوال الثورة وفظائع الفوضويين الذين يسطون على الكنائس والاديرة ويذبحون القسوس

ومن هنا نستنتج ان الطبيعة الوحشية كامنة في الانسان لا يكبح جماحها هاتف علوي ولا وازع ديني والتربية الوطنية عينها التي تقوم بها حكومات العالم تقود الانسان الى الحرب والدم واما التربية النفسية التي يجب ان تسود فيها سلطة الضمير ومثل الروح الاعلى فتسير ببطء عجيب بين الشعوب الدينية والبلاد المتمدنة الراقية

اذن فماذا افاد العالم الغارق في الحروب والدماء مولد المسيح رسول الرفق والسلام وظهور محمد محطم الاصنام، ومصلح الخرافات والاوهام ؟

ما هي الروح التي ينشرها خلفاؤهما على الارض والمثل الاعلى

الذي يرفعون مناره بين هذه الشعوب المتصارعه المتذابحة ؟؟

ان هذه الشرور والحروب والمجازر والدماء التي كانت تأمر بها الوثنية العمياء نراها هي نفسها في عهد الاسلامية والمسيحية ونكاد نجهل المبادي الصحيحة التي ولد لاجلها المسيح وظهر بها محمد كأن الدين انقلب كفراً والكفر انقلب ديناً

نزل عيسى لنشر راية الحب والسلام على الارض فاستحال الحب بغضاً والسلام حربا وجاء محمد يأمر بتقوى الله وطاعة رسوله واحترام شريعته ، فاستحال ذلك جحوداً وطغيانا وتمرداً على الحق والشريعة وميثاق الله في خلقه

وما ذلك الا لان المادة تسلطت على الروح والجشع تغلب على الفضيلة فقاد العالم كله الى هذه الحروب والمجازر وكبلاه بسلاسل الاغراض والمطامع البشرية كي يسير كالاعمى وراء السيادة والغاية

اما الامم القديمة كالمصريين والفينيقيين والاشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان فالتاريخ الانساني يعذرهم على تقديمهم الضحايا والقرابين البشرية لآلهتهم الكاذبة لان الوثنية كانت تقضي بذلك وتبرره في سبيل (غايتهم المقدسة) ولكن ما عذر الامم الحديثة المتمدنة الدينة بتقديم ارواح المؤمنين الابرياء قرابين زكية على مذابح الطمع والسيادة

ان ذلك كله لا تجيزه المسيحية ولا الاسلامية نحو اهل الكتاب ولا نحو الانسانية جمعاء فالمسيح يقول في انجيله: ا نتم كلكم اخوة بهذا يعرفكم الناس انكم تلاميذي اذا كان يحب بعضكم بعضاً ، ومحمد يقول : ان الانسان اخو الانسان ، وفي القرآن يقول : ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها. و كذلك قوله لا اكراه في الدين ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ،وما الى ذلك من الايات البينات !...

وهل هنالك من سلام وإخاء بين امم تتناحر وتتذابح تارة تحت راية الصليب ، وطوراً تحت راية الهلال وكلاهما يتبرآن مما يرتكب باسم الدين في سبيل الدنيا واطماع العروش

ها اننا ما كدنا نطهر الارض من ارجاس الحروب الدينية التي صعدت روائحها الكريهة الى انف السماء حتى طلعت علينا حروب المبادي المتطرفة وملأت الارض من جثث القتلى وافسدت جو السلام من رائحة الدماء المتجمدة على الصعيد

فوا عجبا من الانسانية التي جازت بعملها وتمدنها عشرين قرنا كيف تراجعت الى الوراء واصطدمت فظائعها بفظائع الوثنية بل فاقتها بمراحل اذا قسنا مدنية القرن العشرين بهمجية تلك العصور المظلمة !!

واسباب الاضطراب، والشر السائدين في العالم ثلاثة : تنازع الدول الغنى والنفوذ وفقد التكافؤ بين ارباب المصالح والعمال من حيث تبادل المنفعة ، وعدم التوازن بين الهيئات الحاكمة والهيئات المحكومة وفي اي حين زالت هذه الاسباب زالت مسبباتها من الدول والشعوب ، وساد الامن والنظام والمساواه بالحقوق والواجبات بين الافراد والجماعات وتمتعت الانسانية بالراحة والسلام فى جميع انحاء المعمور

عبادات العرب الوثنية

وظهور الرسول (صلعم)

كان العرب في زمن الجاهلية على انواع مختلفة من العبادات فنهم من انكر الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، ومنهم من عرف الخالق وانكر البعث . ومنهم من عبد الاصنام، وكان اكثرهم يعبدون النجوم كالشمس والقمر وعطارد والمشتري والزهرة ويسمونها باسماء مختلفة كعبد العزى وعبد يغوث وتيم اللات وعبد شمس ونحو ذلك

وعليه كانت المجوسية في تميم، والزندقة في قريش، واليهودية في نمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة، قال ابن خلدون ان اول من ادخل الديانة اليهودية بين العرب هو ذو نواس احد ملوك التبابعة وكان اسمه يوسف وتهودت معه اهل اليمن وقتل اهل نجران من النصارى ومنهم اصحاب الاخدود الذين وفد عليهم ذرعة بن كعب ملك اليمن الملقب بذي نواس الحميري ودعاهم ان يتحولوا عن النصرانية الى اليهودية فامتنعوا فاحتفر لهم اخدوداً واضرم فيه النار والقى فيه من ظفر به منهم

وفي تاريخ القرون الوسطى ان ملوك اليمن الحميريين كانوا قد

تهودوا في اوائل القرن الرابع للميلاد ولما تعدوا على النصارى وظلموهم التجأ هؤلاء الى من ذب عنهم من ارباب الشوكة وهم ملوك الحبشة ولما اتى النجاشي اليمن سنة ٥٢٩ ملك عليها رجلا يقال له ارباط وهو ابو ابرهة الاشرم صاحب الفيل الذي قصد مكة ولم ينجح في محاصرتها لشجاعة عبد المطلب وتوارث الملك بعده اولاده غير ان كسرى انوشروان طردهم من اليمن وولى سيف بن ذي يزن الحميري وفي ذلك يقول ابن دريد :

وسيفٌ استعلت به همته   حتى رمى ابعد شأو المرتمى
فجرَّع الاحبش سماً ناقعاً   واحتل من غمدان محراب الدُّمى

ولا تنكر قدمية العبادة الوثنية عند العرب ولئن تكن اسباب دخولها غامضة مجهولة الا ان الشهرستاني وابن خلدون يقولان ان اول من نصب الاصنام على الكعبة وعبدها واطاعه العرب هو عمرو بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازدمن ولد كهلان بن سبأ كان ملك الحجاز واليه تنسب خزاعة فيقولون انهم من ولد عمرو

والسبب في ذلك انه لما سار عمرو الى البلقاء من اراضي الشام رأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فاعجبه ذلك وطلب منهم صنما فدفعوا

اليه هُبَل فسار به الى مكة ووضعه على الكعبة واستصحب ايضاً صنمين يقال لهما اساف ونائلة وكانا على موضع زمزم ودعا الناس الى تعظيم الاصنام فاجابوه وكان ذلك في ايام سابور ملك الفرس نحو سنة ٤٠٠ قبل الاسلام

ويحكى عن عمرو المذكور انه اول من بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي وكان ينكر البعث وفي ذلك يقول :

حياة ثم موت ثم حشر   حديث خرافة يا ام عمر

ويقول ابو الفرج الاصبهاني ان العرب كانوا يعبدون الجمل الاسود ايضاً ودليل ذلك انه دخل زيد بن مهلهل الى المسجد وكان الرسول يخطب فلما رآه قال اني خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله ولما قوي امر الاسلام بعد ظهور النبي (صلعم) ابطل عبادة الاصنام واقام بنيانه على خمس دعائم اساسية وهي النطق بالشهادتين اي الاعتراف بوحدانية الله والاقرار برسالة محمد ثم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج الى بيت الله الحرام

وانصرف العرب بعد الاسلام من الغارات بعضهم على بعض الى الجهاد في سبيل الدين ورغبهم في ذلك املهم بالنعيم في جنة تجري من تحتها الانهار ولذلك كانوا يستميتون في القتال تحت لواء الاسلام حتى عمت فتوحاتهم بلاد المشرق والمغرب في زمن يسير

الرسول مصلح ، قبل الاسلام وبعده

كانت العرب تكني عن الحرب بثلاثة اشياء احدها ثوب محارب وهو رجل من قيس غيلان كان يتخذ الدروع والدروع ثوب الحرب ، والثاني برد فاخر ، وفاخر هذا رجل من تميم كان اول من لبس البرد الموشى وهو ايضاً كناية عن الدرع ، والثالث عطر منشم ويقولون في امثالهم دقوا بينهم عطر منشم كناية عن عزمهم على الحرب ومنشم اسم امرأة كانت تبيع الطيب فكانوا اذا نووا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا على ان يستميتوا في تلك الحرب ومنه ايضاً حلف الفضول والفضول اسم قوم من جرهم كان يقال لهم فضل وفاضل ومفضل تحالفوا على مثل هـذا في ايامهم وسمي تحالفهم حلف الفضول وذكره الاصبهاني قال ان قوما من قريش اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان وضع لهم يومئذ طعاما وكان الرسول قبل البعثة وهو ابن خمس وعشرين سنة فاجتمع بنو هاشم واسد وزهرة وتيم واقترح محمد عليهم امراً فتعاقـدوا ان لا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حرٌ ولا عبد الا كانوا معه حتى

يأخذوا له بحقه ويؤدوا اليه مظلمته من انفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا الى ماء من بئر زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوه الى البيت فغسلت اركانه ثم اتوا به فشربوه وتحالفوا ، ومنه احابيش قريش وهم قوم من قريش وكنانة وخزيمة وخزاعة اجتمعوا في الحبش وهو جبل في اسفل مكة وتحالفوا انهم يدٌ واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا الحبش المذكور فقيل لهم ذلك

وكان العرب يتغنون بالشعر في حروب الجاهلية ويوقعونه على الالات الموسيقية والقرع بالطبول والنفخ بالابواق المثيرة وكانوا في خروجهم الى الغزوات يحدون بالشعر في مواكبهم فيطربون وتجيش له عزائم الابطال فيهبون الى ميدان الحرب ويثب كل قرن الى قرنه ، وما زال الامر هكذا عند بعض العرب بعد الاسلام فان زناتة من امم المغرب كان الشاعر عندهم يتقدم الصفوف فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث الى الاستماتة في الكفاح واما قرع الطبول والنفخ بالابواق فلم يتخذه الاسلام الا بعد ان تولى الخلافة العباسيون في المشرق والعبيديون في المغرب وكانوا ينصبون الرايات على ابواب بيوتهم لتعرف بها فكانت الصفراء منها راية اهل اليمن والحمراء راية اهل الحجاز والسوداء راية بني العباس ثم الخضراء في زمن المأمون والبيضاء كانت راية الطالبيين من الهاشميين

وكان من عادة العرب في الجاهلية قتل اسرى الحرب وعليه

امثالهم المضروبة ليس بعد السلب الا الاسار وليس بعد الاسار الا القتل ولكن كان الاسير اذا اكل وشرب من مال آسره أمن القتل واذا منوا عليه واطلقوه جزوا ناصيته وكان الشريف اذا اسر فدي بمئتين من الابل ، وسمي هذا الفداء عندهم عقال المئتين ولما جاء الاسلام ابطل الاسر من العرب حيث ورد في الحديث لا سبأ على عربي ولا سبأ في الاسلام ولا رق على عربي في الاسلام

وجاء في التاريخ ان بعض العرب كانوا تجاراً ومنهم قريش وكانوا ينقلون على ابلهم الى مصر والشام اللبان والمر والواتينج وغيره من سائر العطور والبهارات التي كان يجلبها بعضهم من بلاد الهند الى الساحل الجنوبي وبعضها كان يخرج من بلادهم وعليه قول ابن خلدون القرش في اللغة الكسب والجمع وبه سميت قريش ايضاً لانها كانت تتعاطى التجارة

وكانت قريش عند نقل متاجرها تأتي الشام في فصل الصيف لطيب هوائها واعتدال مناخها وتأتي اليمن في فصل الشتاء لانها بلاد حارة

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام ان اول من سن الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف هو هاشم جد الرسول وتوفي في مدينة غزة ولذلك يقال لها غزة هاشم

عادات العرب واوابدهم

قبل الاسلام

كان للعرب كثير من العادات والاوابد فابطلها الاسلام ومن العادات البحيرة والسائبة والحام والخمر والميسر والانصاب والازلام ووأد البنات والرفادة في الحج وانزلت في ذلك آية تقول ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وآية اخرى « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »

(البحيرة) ناقة كانت اذا انتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكراً بحروا اذنها اي شقوها وامتنعوا عن زكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى

(السائبة) هي ان الرجل اذا اعتق عبداً قال هو سائبة فلا يبقى بينهما عقد ولا ميراث

(الوصيلة) تكون في الغنم وهي اذا ولدت الشاة انثى فهي

لهم وان ولدت ذكراً كان لآلهتهم وان ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها فلا يذبحون الذكر لآلهتهم

(الحام) هو الذكر من الابل كان اذا نتج من صلب الفحل عشرة بطون قالوا حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى

(الخمر) هي ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمراً وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار لانهما من دلائل الجود عندهم وقد بلغ من تولعهم في شرب الخمر ما فعله ابو غبشان اذ باع مفاتيح الكعبة بزق خمر

والميسر والازلام هي القمار والازلام هي السهام قبل ان تراش وازلام الميسر هي قمار العرب بهذه الازلام وذلك ان اهل الثروة من الجاهلية كانوا يشترون جزوراً وينحرونها ثم يقسمونها ثمانية وعشرين قسما يتساهمون عليها بعشرة قداح يسمونها الازلام ويسمون كل واحد منها باسم وهي : الفذ والتوأم والرقيب والنافس والحلس والمسبل والمعلى والفسيح والمنيح والوغد وكان للمعلى منها سبعة انصبة وعليه القول لمن ربحت صفقته في امر ظفر بالقدح المعلى وكان ثلاثة منها عطلا اي بدون انصبة وكانوا يكتبون على كل قدح اسمه ويجمعون هذه القداح في خريطة يضعونها في يد

رجل عدل يسمونه المجيل او المقبض فمن خرج له قدح من ذوات الانصبة اخذ نصيبه ومن خرج له قدح لا نصيب له غرم ثمن الجزور وكانوا يكثرون هذا اللعب في ايام الشتاء لتفرغهم له

(وأد البنات) هو ان بعض العرب كان اذا ولدت له بنت يدفنها حية واختلفوا في اسباب ذلك فنهم من قال انهم كانوا يفعلونه في ايام الجدب ومنهم من قال من عار السبي ومنهم من قال كراهية من امر زواجها

ويقال ان اول من وأد البنات هو قيس بن عاصم التميمي وسبب ذلك ان الريان اخا النعمان كان قد سطا على بني تميم واستاق ابلهم وسبى ذراريهم ولما ابوا اداء الاتاوة التي كانت عليهم وفدت وفودهم على النعمان وكلموه في الذراري فحكم بان يكون الخيار للنساء وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم المذكور فاختارت سابيها على زوجها ومذ ذاك نذر قيس ان يئد في التراب كل بنت تولد له ووأد بضع عشرة بنتاً وتابعه العرب في ذلك حتى ظهر الرسول ونزل القرآن فابطل وأد البنات

(الوفادة في الحج) هي الخرج الذي كانت تخرجه قريش في كل موسم الى قصي بن كلاب القرشي فيضع به طعاما للحجاج ليأكل منه من لم يكن ذا سعة ولا زاد وقيل ان اول من رتب

الرفادة عبد المطلب

ومن اوابدهم الرتم والرتيمة والهامة والتمائم والسعلاة والغول والعنقاء . فالرتم نوع من الشجر كان اذا خرج احدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فعقد غصناً منها واذا ـ د من سفره ووجده قد انحل اعتقد ان امرأته قد خانته فهجرها

والرتيمة يكنى بها عن الناقة المعقولة واصل ذلك انه كان اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت ويزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها وتسمى البلية ايضاً وعكس البلية ان يربطوها معكوسة الرأس الى ما يلي كلكلها وبطنها ويقال الى مؤخرها مما يلي ظهرها ثم يتركونها على هذه الحال حتى تموت

والهامة يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني الى ان يؤخذ بثاره وطائفة منهم تزعم ان هذا الطائر هو روح الانسان تنشط من جسمه اذا مات او قتل ولا يزال هـذا الخيال بصورة الطائر يصيح على قبره مستوحشاً له قال الشاعر :

سلط الموت والخيال عليهم   فلهم في صدى المقابر هام

ويزعمون ان هذا الطائر يكبر ويتوحش ويوجد في الديار المهجورة والنواويس ومصارع القتلى ويقولون ان الهامة لا تزال

عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبرهم فتخبر الميت ولذلك كانت نساء العرب لا تبكي المقتول حتى يؤخذ بثاره

والتمائم جمع تميمة وهي الحرز يجمع على احراز وهي خرزة زرقاء تنظم في سلك ثم يعقد في العنق وسميت تميمة لان بها يتم امر الصبي اي يوقى من العين واماطة هذه التمائم اي ازالتها عند العرب رديف الكبر لانهم كانوا لا يزيلونها الا متى بلغ الصبي وحينئذ يلبسونه العمامة والازار ويقلدونه السيف ولما جاء الاسلام نهى عن لبس التمائم وقد ورد في الحديث : من علق تميمة فلا اتم الله له ، وايضاً : من علق تميمة فقد اشرك

والغول هي ساحرة الجن تتلون للناس في الخلوات بصور شتى لتضليلهم في الطريق وتهلكهم فتخاطبهم ويخاطبونها ، ويروون عنها احاديث ومساجلات واحاجي ادبية يطول شرحها ، وقالوا هي ذكر وانثى قال كعب بن زهير :

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلوّن في اثوابها الغول

ولذلك يقولون في امثالهم كتلون الغول يضرب للمتلون في سلوكه ويقولون ايضاً تغولت المرأة اذا تشبهت بالغول في تلونها

قال بعض الادباء :

لما خصت بني الزمان ولم اجد ... خلاً وفياً للشدائد اصطفي
ايقنت ان المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفي

والسعلاة هي حيوان من المتشيطنة يتراءى للناس في النهار ويتغول في الليل واكثر وجودها في الغياض فاذا انفردت بانسان امسكته ترقصه وتلاعبه كما يلاعب القط الفار ويقولون ربما صادها الذئب واكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول ادركوني فقد خطفني الذئب وربما قالت من انقذني منه فله الف دينار فيسمعها من يجاورها ولا يلتفت اليها لمعرفة الناس بها .

العنقاء ويقال لها عنقاء مغرب يزعمون انها طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم وانها سميت كذلك لبياض في عنقها كالطوق ، قال الجاحظ الامم كلها تضرب المثل بعنقاء مغرب

قال الشاعر :

اذا ما ابن عبد الله خلى مكانه وقد حلقت بالجو عنقاء مغرب

اصل الكعبة وسدانتها ومصيرها

بعد الاسلام

الكعبة بناء مربع في وسط المسجد الحرام بمكة من بلاد الحجاز وقد سميت بهذا الاسم لعلوها ، وقيل ان موضع الكعبة الحقيقي منها كان فيه خيمة لآدم وضعها الله له في الجنة فبنى شيث ابن آدم هناك الكعبة بالطين وان الذي بنى البيت هو آدم نفسه وانه لما قضى مناسكه فيه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام

وقال ابن خلدون ان ابراهيم لما ترك هاجر في الفلاة وضعها وابنها اسماعيل في مكان البيت فاتخذ اسماعيل هناك بيتاً وادار عليه سياجاً من الردم وجعله مزربا لغنمه ولما جاء ابوه لزيارته من الشام آخر مرة امره الله ببناء الكعبة فبناها هو وابنه اسماعيل وسكن اسماعيل مع هاجر ومن نزل معه من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر معه وعليه يكون اسماعيل وابنه اول من رفع بناء الكعبة ولما غلب قريش خزاعة على امر البيث بنى قصي بن كلاب البيث

وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل قال الاعشى :

خلفت بثوبي راهب الدير والذي بناه قصيٌ والمضاض بن جرهم

وكان اول من كسا الكعبة تبع كساها بالملاء والوصائل وجعل لها مفتاحاً وهو اول من تهود من العرب وتبعته في ذلك قبيلة حمير قال الاصبهاني ان قريشاً كانت تكسو الكعبة من اموالها باجمعها سنة وكان بجير بن ابي ربيعة يكسوها من ماله سنة ولذلك لقبته قريش بالعدل لانه عدلهم جميعاً قال المقريزي ان كسوة الكعبة كانت المسوح والانطاع واول من كساها الديباج عبد الله ابن الزبير احد الخلفاء الامويين

ومن اسم الكعبة ايضاً كعبة نجران وهي قبة لعبد المسيح بن دارس بن عدي مصنوعة من ثلثمائة جلد وكانت العرب تسميها كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة فكان اذا نزل بها مستجير اجير او خائف أمن أو جائع شبع او طالب حاجة قضيت او مسترفد أرفد ، قال الاعشى يخاطب ناقته :

وكعبة نجران حتم عليـك بان تنزلي رحب ابوابها

نزور يزيداً وعبد المسيح وقساً وهم خير اربابها

وبعد ظهور الاسلام اندرس ماذكر وعوض عنه بالكعبة والمساجد التي حدثت بعد الاسلام وهي مسجد مكة ومسجد

المدينة والمسجد الاقصى بيت المقدس وذكر العرب مسجداً رابعاً في سرنديب من جزائر الهند ولكن لم يجزم بصحته

(سدانة الكعبة) وكانت سدانة الكعبة في زمن الجاهلية مع بني اسماعيل حتى انتهت الى ثابت احد اولاده ولما مات صارت الى جده لامه مضاض بن جرهم حتى غلبت خزاعة على مكة فصارت اليهم ونفوا بني جرهم عن مكة وفي ذلك يقول مضاض المذكور

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطاً فجنوبه ... الى المنحنى من ذي الاراكة حاضر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ... قضاء الليالي والجدود العواثر
ونحن ولاة البيت من بعد ثابت ... نطوف بذاك البيت والامر ظاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بين الناس تجري المقادر

الى ان يقول :

فبطن منىً امسى كأن لم يكن به ... مضاض ولا بين الاباطح عامرُ
فهل فرج يأتي بشيء نحبه ... وهل جزع ينجيك مما تحاذر

ولم تزل السدانة في خزاعة حتى انتهت الى غبشان الملكاني وصياً لخليل بن حبشية الخزاعي فاسكره قصي بن كلاب القرشي

واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر، فلما صحا ندم حيث لا ينفع الندم فصار ذلك مثلا، اذ يقال اخمر من ابي غبشان قال الشاعر :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت　　بزق خمر فبئست صفقة البادي
باعت سداتها بالنزر وانصرفت　　عن المقام وظل البيت والنادي

ومن ثم صارت سدانة الكعبة الى آل قريش اذ استولى قصي المذكور على مفاتيحها بعد ان قضى له بذلك عمر بن عوف ابن كعب بن عمرو بن عبد مناف بن كنانة احد حكام العرب وتيمنت قريش برأيه فاتخذوا الندوة ازاء الكعبة في مشاوراتهم وصار اليه لواء الحرب وحجابة البيت فتمت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء .

الراهب سركيس بحيراء

والرسول محمد بن عبد الله

قبل بضعة اجيال من ظهور الاسلام كانت سورية تحت سلطة الروم وكان ملوك غسان عمالاً لقياصرتهم على العرب وكانت دمشق تحت مملكتهم، وهم الذين يقول فيهم حسان بن ثابت الانصاري :

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر بن مارية المعم المخول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

ويقول ابو الفداء ان اصل بني جفنة قوم من اليمن من بني ازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء في الشام يقال له غسان ونسبوا اليه ، وكان في بصرى الشام على عهد الروم والغساسنة راهب لغوي عالم وتقي فاضل يدعى سركيس بحيراء وكان محمد بن عبد الله في اثناء مروره مع قوافل التجار على مدينة بصرى يختلف الى الراهب ويذاكره في امر الخلق والخالق ووحدانيته تعالى وازليته

ويناظره فيما جاء في الانجيل عن تجسد ابن الله ونزوله من السماء لنشر روحه القدوس وتعاليمه السامية مع ما كان من اضطهاد اليهود له وصلبه وموته افتداء للبشر ومحو الخطيئة آدم في جنة عدن، غير ان محمداً لم يسلم بكل ذلك ولم يؤمن الا بوحدانية الله ويوم البعث والحساب. ولم يتماد الراهب في حواره بعد الذي رآه من ايمانه بالله واعتقاده بالبعث وخلود النفس في الآخرة ومن ثم ذهب محمد يخلو الى جبل الحبش في مكة ويستلهم الله ويستمد أيده ومعونته على العرب لاستنقاذهم من الوثنية واباطيلها واستنفارهم من عبادة الاصنام، الى عبادة الله عز وجل، ولم يكن ردّ العرب عن عاداتهم وعاداتهم القديمة سهل المنال على نبي الله وأشفق ان هو جاءهم بالحلم والتؤدة ان تضيع عليه الفرصة ويتصلب رؤساء القبائل وزعماؤها أثرةً واستكباراً دون قبول الدعوة فاخترط السيف وعمد الى البطش والعرب من شأنهم قرع السيف بالسيف واخذ القوة بالقوة وهكذا أثار عليهم الحروب والمغازي ونشر دين الاسلام، ووضع الشريعة السمحاء، بين الوحي والسيف.

رسالة الرسول العربي بين الوحي والسيف

الوحي بلاغ سماوي تنقله الروح الى الروح ولا يهبط الا على من تجرّد عن دنياه وانقطع لمناجاة الحق سبحانه وتعالى كالانبياء والرسل والحبساء المتنسكين والصوفيين والروحانيين الذين يقولون بمناجاة الارواح ، ويعتقدون بصحة احداثها واخبارها .

والخلاف بتصديق الوحي كثير بين العلماء ، والادلة عليه ضعيفة لان المتجردين عن اهواء الدنيا قليلون ، ولا سيما ذوي الامزجة الملتهبة والميول الثائرة ممن يغلب عليهم الانقياد للنفس الامارة بالسؤ والميل الى الشهوة والفساد ، وهذا مما يضاد صفات الروح التي يهبط عليها ذلك البلاغ الاعلى لتفضي به الى مثلها من الارواح الطاهرة ، وبعض العلماء يقولون ان النفس عند غيبوبتها وانسلاخها عن الجسد تتصل بما لها من صفة العلم بالغيب وتقوم ببلاغها الاعلى على سبيل الاحتكاك بظواهر الحس وقراءة الافكار

وعليه فالانبياء والاولياء كانوا قبل عيسى ومحمد وسطاء بين الله وخلقه على شفاههم تهبط الحكمة ، وفي قلوبهم تحل النعمة ،

وبين ايديهم تتقلب البركات، ولولاهم لما فتحت أذهان البشر ولا مهد طريق الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والمسيح عليه السلام كان ولا يزال ظل نورانية السماء على الارض ، وروحاً تبناها الوحي في بشر من سبط داود المختار واصطفاه دونهم لتحرير شعب اسرائيل من ربقة الأثم والفجور ، فاضطهده رؤساء الشعب خوفاً على سلطتهم لانه كان يعلم ما ليس في شريعتهم الموسوية رغم قوله لهم : اني ما جئت لانقض بل لا كمل

ولكنه كان يلقي عظته ويمشي غير حافل بمكائدهم ومؤامراتهم والا لزمه ان يقاتل اليهود بالسيف ويحملهم على الايمان به قسراً ولم يفعل ، وانما جاء بالمعجزات المعجزات والبينات البينات وكانت قيامته من الاموات خاتمة معجزاته وبيناته .

واما الرسول العربي (صلعم) فقد كان ظل عظمة الله ورحمته على الارض انفذته السماء الى خلقه غازياً فاتحاً فتغلب على المسلمين بالسيف دفاعا عن الحق ، وعلى النصارى بروح عيسى فجمع بين العدل والحلم ، والقدرة والعفو ، وآتته الدنيا بما فيها من عز وبسطة ، وكاشفته الاخرى بما وراءها من معاد وثواب ، فقبض على الناصيتين ، وملك زمام الدارين .

وللرسول (صلعم) مغاز وحروب عديدة توسل بها لنشر الايمان بالله وتوطيد الاسلام واليه يرجع الفضل بالقضاء على الوثنية

وتحطيم الاصنام في مكة ، وانزال آية التوحيد على المؤمنين قاطبة

وسواء كان ماقام به وحياً او غيرةً على دين الله وعبادته دون الآلهة الكاذبة كما فعل ايليا الغيور فكلاهما نبي قد امتشق السيف على كهنة البعل ولا يخلو ذلك من الهاتف العلوي لاداء البلاغ واقامة المثل الاعلى بين جماعة المؤمنين . وغزوات النبي في انفاذ رسالته الاسلامية ستّ : الاولى غزوة بدر التي غزا فيها بثلاث مئة من اصحابه قافلة لقريش كان فيها الف رجل ، وكان رئيسها ابو سفيان ، فانتصر عليها . والثانية وقعة أُحد جرت بعد سنة من هذه جند فيها أبو سفيان ثلاثة آلاف رجل فكسر المسلمين وشنع بهم والثالثة غزوة الطائف قتل فيها النبي نحو عشرة آلاف من اليهود وكانت في سنة خمسة للهجرة ٦٢٦ م . والرابعة غزوة خيبر وكانت هذه مدينة من أحصن قرى العرب واهلها يهود فاسلم بعضهم واقام اكثرهم على دين اليهودية ولم يزالوا الى يومنا هذا ، ويهود خيبر مشهورون بالخبث وفساد السرائر وكذلك يضرب بهم المثل فيقال : « هذا يهودي خيبري » . والخامسة وقعة مؤتة وهي في اراضي الشام غلب فيها ثلاثة آلاف من المسلمين ثلاثين الفاً من الروم سنة ثمانية للهجرة و ٦٢٩ م . والسادسة غزوة حنين وهي آخر غزواته وقد تمّ له فيها نشر الاسلام والاستيلاء على بلاد العرب باجمعها .

عهد الرسول

﴿ الذي قطعه لحماية النصارى ﴾

وعرف النبي (صلعم) بالتساهل مع غير المسلمين والرفق بهم وحسن معاملتهم ونهى عن الجدل مع النصارى وردهم عن دينهم وكان يؤمنهم بالعهود والمواثيق التي يمنحها لهم في البلاد التي يفتحها كالصحيفة التي كتبها بين المسلمين واليهود وسلمها اليهم بعد ان قتل الكعب بن الاشرف والكتاب الذي كتبه الى النمر بن تولب ليبقى في يد اهله ولم تحفظ صورها لنعرف نصها بحرفه وانما حفظت صورة العهد الذي منحه لرهبان دير القديسة كاترين الكائن في جبل سيناء ويقال ان في كل دير من الاديرة الخاصة بهذه الرهبانية نسخة من هذا العهد مخطوطة باللغة التركية مصدقة من المحاكم الشرعية وعليها اوامر من الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من الملوك والسلاطين لاجل العمل بها وهذا نص العهد النبوي الشريف :

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وامين الخلق اجمعين لوديعة الله في خلقه كي تكون حجة على الله بعد الرسول

وكان الله عزيزاً حكيما كتبه لمن هو على دينه عهداً لاولئك القوم اجمعين الذين هم على دين النصرانية من مشارق الارض الى مغاربها بعيدهم وقريبهم عربيهم وعجميهم معلومهم ومجهولهم هذا كتاب ما عهده اليوم وكل من خالف ما فيه من العهد يكون مخالفاً له ولغيره ومتعديا على ما امر به وقد افسد عهد الله ولم يصدق ميثاقه ولم يخضع له ويكون قد استهزأ بدينه واستحق للعنته ان يكن سلطاناً او غيره من المسلمين المؤمنين .

فمتى كان راهب او سائح مجتمعاً في جبل او واد او مغارة او معمور او سهل او كنيسة او معبد فنحن من وراءهم واني لاذود عنهم بنفسي واعواني وانصاري وشعبي هم واموالهم واثوابهم اذ انهم من رعيتي واهل ذمتي وادفع عنهم كل ما يكدرهم من تلك تعطيها اهل العهد ولا يكون عليهم جبر ولا اكراه ولا يتغير من كان عليهم قضاة منهم عن وظيفتهم ولا رهبانهم عن رهبانيتهم ولا اصحاب الخلوات عن الاقامة في صوامعهم ولا يسلب احد سياحهم ولا يهدم بيتاً من بيوتهم ولا يتلفها ولا يدخل شيئاً منها الى بيوت المسلمين وكل من اخذ شيئاً من ذلك يكون قد افسد عهد الله وخالف رسوله ولا يطرح خراج على قضاتهم ورهبانهم ولا من كان مشغولا في العبادة منهم ولا شيء آخر غرامة كانت او خراجاً ولا مظلمة اخرى فاني انا احفظ ذمتهم في

البحر والبر والشرق والغرب والشمال والجنوب اينما كانوا وهم في ذمتي وميثاقي من جميع الاشياء التي يكرهونها فلا يؤخذ خراج ولا اعشار ممن يتعبد في خلوة بالجبال ولا ممن يزدع في تلك الاراضي المباركة ولا احد يشاركهم في طريقهم ولا يشترك معهم بدعوى ان ذلك لغيرهم ويعطى لهم في اوقات المواسم من كل اردب قدح لاجل مأكولهم فلا يقال لهم ان هذا كثير ولا يطالبون بخراج ولا يؤخذ من ذوي الخراجات ايضاً ولا من الاغنياء وارباب التجارة زيادة عن اثني عشر درهماً في السنة عن كل رأس ولا يكلف المسنون منهم زيادة عن الحد المعين ولا يكلف احد سفراً او يلزمهم حرباً او نقل سلاح انما المسلمون يحاربون عنهم ويجادلونهم على احسن وجه اتباعاً للآية «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن» فيعيشون مغبوطين مرحومين ويمنع عنهم ما يكدرهم ويضيق عليهم اينما كانوا او في اي محل نزلوا واذا تزوجت امرأة نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك الا برضا تلك المرأة ولا تمنع من الذهاب الى كنيستها لاجل الصلاة وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها ولا من ترميم اديرتهم ولا يلتزمون بنقل سلاح او حمل حجارة وانما المسلمون يذبون عنهم ولا احد من الامة يخالف هذا العهد الى يوم القيامة وانقضاء الدنيا، هذا العهد الذي كتبه محمد ابن عبد الله لجميع ملة النصارى وقد اشهد الصحابة العظام عليه

في آخره وهم :

علي بن ابي طالب . ابو بكر الصديق . عمر بن الخطاب . عثمان بن عفان . ابو الدرداء . ابو هريرة . عبد الله بن مسعود . عباس بن عبد المطلب . الفضل بن عباس . الزبير بن العوام . طلحة ابن عبد الله . سعيد بن معاذ . سعيد بن عبادة . ثابت بن قيس . زيد بن ثابت . ابو حنيفة بن عتبة . هاشم بن عبيد . معظم بن قريش . الحارث بن ثابت عبد العظيم بن حسن . عبد الله بن عمرو ابن العاص . عامر بن ياسر .

وقد كتب هذا العهد علي بن ابي طالب بخط يده في مسجد النبي (صلعم) في اليوم الثالث من محرم للسنة الثانية من الهجرة .

وما قام بالسيف والقسر من دعوة دينية او مدنية تميل به عواصف الشقاق وزعازع الفتنة فلا يستقر له حال حتى يتداعى بنيانه ويهدمه السيف عينه . والدعوة الاسلامية بعد موت الرسول عاجلها الخلاف وبكرت اليها الشحناء فحدث كثير من الشيع والبدع بسبب التنازع على الخلافة وكادت تنزل فشلاً كبيراً في الاسلام لو لم يتداركها بحكمة بالغة وشجاعة فائقة الامام عبد الله ابن ابي قحافة المعروف بابي بكر الصديق الذي اختاره اكثر القرشيين لمنصب الخلافة وكانوا يمنعون علياً منها لخوفهم من ان تتم الشوكة لبني هاشم الذين كان هذا الامام سيدهم .

الحوار الذى قام بين ابى بكر وعلى بن ابى طالب على الخلافة

وكان اول ما شرع فيه ابو بكر بعد موت الرسول واضطراب حبل الاسلام انه دعا اليه ابا عبيدة الجراح وعنده الامام عمر بن الخطاب وقال له : يا ابا عبيدة ما ايمن ناصيتك ، واين الخير بين عارضيك ، ولقد كنت من رسول الله بالمكان المحوط ، والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك ذات يوم مشهود ابو عبيدة امين هذه الامة ، وطالما اعز الله بك الاسلام ، واصلح فساده على يدك ، ولم تزل للدين ملجأ ، وللمؤمنين عصمة ، وقد اردتك لامر مابعده خطر مخوف وصلاحه بك معروف ، فقد وقع اليأس ، واعضل البأس ، واحتيج بعد ذلك الى ما هو امرّ منه واعلق ، واعثر منه واغلق ، والله اسأل تمامه بك ، ونظامه على يدك ، فتأنّ له يا ابا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ورسوله . امض الى علي واخفض جناحك له ، واغضض من طرفك واخفض من صوتك ، واعلم انه سلالة ابي طالب ، وحجة ممن فقدناه بالامس (صلعم) وقل له :

البحر مغرقة ، والبر مفرقة ، والجو اكلف ، والليل اغلف ، والضغن رائد البوار ، وقائد الفتنة والدمار ، والشيطان متكيء على شماله ، متحيل بيمينه ، متربص باهله الدواهي يتوقع بهم الشتات والفرقة ، ويسعى بين ظهراني الامة بالشحناء ، ويثير بين آحادها عوامل العداوة والبغضاء انه لثالب نزآء ، يوسوس بالفجور ، ويدلي بالغرور ، ويمني اهل الشرور ، ولقد ارشدك من قاد ضالتك ، وصادقك من اصفى مودته بعتابك ، واراد الخير بك من آثر السلم والامان معك ، ما هذا يا علي ، انك جد عارف باستجابتنا لله ورسوله وخروجنا عن اوطاننا واحبتنا واموالنا هجرة الى الله تعالى ونصرة لنبيه ، انك لفي كن الصبا وخدر العذراء ونحن في اثناء ذلك نعاني احوالا تزيل الرواسي ، ونقاسي اهوالا تشيب النواصي ، خائضين غمارها ، راكبين تيارها نتجرع صابها ، ونقتحم عبابها ، والانوف تعطس بالكيد ، والعيون تطرف بالحسد ، والصدور تستعر بالغيظ ، والاعناق تتطاول بالفخر ، والشفاه تتلمظ بالمكر . وقد فادينا بهذه المكاره والشدائد العمياء رسول الله (صلعم) وقابلنا اهل الصلف والاستكبار بطيب نفس وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة اوجه وذلاقة السن ، نميط عن وجه الحق لثام الرياء والغرور ، لتستجلي خفيات الاسرار ومكنونات الاخبار ، انك عضد هذه الامة ، وماؤها العذب . والله لقد

سألت رسول الله عن هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه .

وان يختلج في نفسك شيء فهلمّ فالحكم مرض ، والصواب مسموع والحق مطاع ، وبعد فهؤلاء الانصار والمهاجرون معك في دار واحدة وبقعة جامعة ، ان استقاموا بي لك ، واشاروا عندي بك ، فانا واضع يدي بيدك ، وصائر الى رأيهم فيك ، وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم ، والمرشد لضالهم ، والرادع لغاويهم . فقد امر الله بالتعاون على البر ، والتناصر على الحق ، والله عز وجل على مانقول شهيد وبما نحن عليه بصير .

قال ابو عبيدة فلما تهيأت للنهوض ، قال سيدي عمر ، كن لدى الباب هنيهة فلي معك حديث فوقفت ثم التفت اليه ووجهه يتهلل ، قال ابلغ الى علي :

الوقار محلمة ، واللجاج ملحمة ، والهوى مفحمة ، وما منا الا وله مقام معلوم ، وحق شائع او مقسوم ، وبناء ظاهر او مكتوم ، وان اكيس الكيس من وزن كل امر بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ولا خير في علم مشوب بجهل وحق متلبس ببطل ووالله ما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعي او تردد وكلامها اليوم لفتق او لرتق فقد جدع الله بمحمد انف كل ممار ، وقصف

ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذوب ثرثار

لقد خرج رسول الله والامر مقيد محتبس ، ليس لاحد فيه ملمس ولا مأنس، ولسنا في كسروية كسرى ، ولا قيصرية قيصر ولسنا كاصحاب فارس وابناء الاصفر ، قوماً جعلهم الله خرزاً لسيوفنا ، وجزراً لرماحنا ، ومرمى لطعاننا ، وتبعاً لسلطاننا ، وانا نحن في نور نبوة ، وفيء رسالة ، وثمرة حكمة ، وكنف رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين امة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الفتق والرتق ، لها من الله عز وجل قلب ابي ، وساعد قوي ، ويد ناصرة ، وعين باصره ، اتظن ان ابا بكر وثب الى هذا الامر مقحاماً على هذه الامة خادعاً لها ، متسلطاً قسراً عليها . اترى انه اضلها عن هداها ، وساقها الى رداها ، وجعل نهارها ليلا وليلها نهاراً ؟ ؟

كلا والله باي خيل ورجل، وباي سنان ونصل، باية قوة منه ، واي ذخر وعدة ، واي ايد وشدة، حبوة حباه الله بها، وعاقبة ابلغه اياها ، ونعمة سربله الله جمالها ، بل يد وجب عليه شكرها ، وامة نظر به لها ، واطالما حلت عليه في ايام رسول الله وهو لا يلتفت اليها ولا يرتقب موعدها، والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده ، وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الحكمة ولا يحق حقك فيما آتاك ربك ولكن لك من يزاحمك بمنكب

اضخم من منكبك ، وقرب اسنى من قربك

ولعمري انك اقرب الى رسول الله قرابة ، ولكنه اقرب قربة ، والقرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح ، وهذا فرق قد عرفه المسلمون ، واجتمع اليه المؤمنون ، ومهما تشك في امر فلا تشك ان يد الله مع الجماعة، ورضوانه معقود على امل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وانفع لك غداً ، فان يكن في الامل طول ، وفي الاجل فسحة ، فستأكله مريئاً او غير مريء ، وستشربه هنيئاً او غير هنيء ، حين لا راد لقولك الا من كان منك ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك ، ولله فيك وفينا امر هو بالغه ، وغيب هو مشاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو الولي الحميد الغفور .

قال ابو عبيدة فمشيت مزملا ، وهرولت معجلا ، كانما اخطو على أم رأسي جزعاً من الفرقة ، وهلعاً على الامة ، حتى وصلت الى علي في خلاء فابثثته بثي كله ، وبرئت اليه منه ، فلما سمعها ووعاها قال : نعم يا ابا عبيدة اكل هذا في انفس القوم يحثون عليه ، ويطيعون به ، قال ابو عبيدة لا جواب لك عندي وانما انا قاض حق الدين ، راتق فتق الاسلام للمسلمين ، ويعلم الله ذلك من ضربان قلبي ، ومرارة نفسي .

قال علي رضي الله عنه والله ما كان قعودي في كسر هذا

البيت قصداً للخلافة ، ولا انكاراً للحق ، ولا رزية على مسلم ، بل لما وقدني به رسول الله بفراقه ، واودعني من الحزن بفقده ،وذلك اني لم اشهد بعده مشهداً الا جدد لي غماً وذكرني شجواً ، وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره ، فقد عكفت على عهد الله انظر فيه ، واجمع ما تفرق منه ، رجاء ثواب معد لمن اخلص عمله ، وسلم لمشيئة ربه ، على اني ما علمت التظاهر علي واقع ولا عن الحق الذي سبق الي دافع ، واذ قد افعم الوادي بي ، وحشد النادي من اجلي فلا مرحباً بما ساء احداً من المسلمين ، وفي النفس كلام لولا سابق قول ، وسالف عهد لشفيت غيظي بخنصري وبنصري ، وخضت لجته باخمصي ومفرقي ولكني ملجم الى ان القى ربي عز وجل وعنده احتسب ما نزل بي وانا سائر الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم ، وصابر على ماساءني وسركم ليقضي الله امراً كان مفعولا وكان الله على كل شيء شهيدا .

قال ابو عبيدة فعدت الى ابي بكر وقصصت له القول على غره ، ولم انقص شيئاً من حلوه ومره ، ولما كان الصباح وفد علي فخرق الصفوف الى ابي بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلا ، وجلس طويلا ، واستأذن للقيام ، ونهض فشيعه عمر تكريماً له وايثاراً لمقامه ، فقال له علي ما قعدت عن صاحبكم كارهاً له ، ولا اتيته فرقاً منه ، وما اقول ما اقول تعلة ، واني لاعرف مكان طرفي ،

ومنزل نفسي ، ومنزع قوسي ، وموقع سهمي ، ولكني قد ارنت على فأسي ثقة بالله في الدنيا وفي الاخرة .

فقال له عمر كفكف عزبك واستوقف سربك ، ودع العصا بلحائها والدلاء برشائها ، فاننا من خلفها وورائها ، ان قدحنا اورينا وان منحنا اروينا ، وان جرحنا ادمينا ، وان نصحنا اربينا ، ولقد سمعت اماثيلك التي نعوت بها عن صدر أكل بالجوى . ولو شئت لقلت على مقالتك ما اذا سمعته ندمت على ماقات : زعمت انك قعدت في كسر بيتك لما وقدك الرسول بفراقه . افراق الرسول وقدك وحدك ، ان مصابه اعظم واعم من ذلك ، ومن حقه الا يصدع شمل الجماعة ، والا يُخرج المؤمنين عن الطاعة ، والا ينفر هؤلاء العرب حولنا ، فوالله لو تداعوا الينا في مصبح يوم لم نلتقِ في ممسى ، وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كافٍ عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه ، ومؤازرة اولياء الله تعالى فيه ، وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ماتبدد منه ، فمن العكوف على عهده ، النصيحة لعباده ، والرأفة بخلقه مع بذل ما يصلحون به ، ويرشدون اليه . وزعمت انك لم تعلم بان التظاهر عليك واقع ، ولا عن الحق الذي سبق اليك دافع ، فاي تظاهر وقع عليك ، واي حق لك ليمهد دونك .

قد علمت ماقال الانصار لك بالامس سراً وجهراً ، وماتقلبت

عليه بطناً وظهراً ، فهل ذكرتك او اشارت بك ، او وجدنا رضاها عنك ؟ هؤلاء المهاجرون من قال بلسانه تصلح لهذا الامر ، او اوماً بعينيه ، او همهم في نفسه ؟ اتظن ان الناس قد ضلوا من اجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك ، وباعوا الله عز وجل ورسوله تحاملاً عليك ؟ لا والله لا يقال انك اعتزلت تنتظر الوحي ، وتتوكف مناجاة الحق لك ، فذلك امر طواه الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم

ومن اعجب قولك : اني لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي بخنصري وبنصري ! وهل ترك الدين لاحد من اهله ان يشفي غيظه بلسانه ويده تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ، ودفع عن الناس آفتها ، وابدلنا منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان . وزعمت انك ملجم فلعمري ان من اتقى الله ، وآثر رضاه ، امسك لسانه عما يغيظه ، وجعل سعيه لما يرضاه .

قال علي والله مابدلت عزمي وانا اريد فلتة منه ولا اقررت حكمي وانا اريد حولا عنه ، وان اخسر الناس صفقة عند الله ، من آثر النفاق واحتضن الشقاق ، وبالله سلوة من كل كارث ، وعليه التوكل في كل الحوادث ، ارجع يا ابا حفص ناقع القلب ، ناعم البال ، مبرود الغليل فليس وراء ماسمعته وقلته الا ما يشد الازر ، ويحكم الاصر ، ويحط الوزر ، ليس الا ما يجمع الالفة ، ويرفع الكلفة ويوقع الزلفة بمعونة الله وحسن توفيقه

وفي رواية ابي منصور : ثم حضر علي وقال يا ابا بكر ان عصابة انت فيها لمعصومة ، وامة انت منها لمرحومة ، ولقد اصبحت عزيزاً علينا ، كريماً لدينا ، نخاف الله اذا سخطت ، ونرجوه اذا رضيت . ولقد حط الله عن كاهلي ما اثقل كاهلك وما اسعد من نظر اليه الله بالكفاءة ، وانا اليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، والى الله عز وجل في جميع الامور راغبون .

ولما بايع علي وسكنت الحال واستقرت الخلافة لابي بكر كان قد فشا الارتداد بين العرب لما اوقعت فتنة الاسلام من الريبة في نفوسهم فكان اول ما شرع فيه هذا الخليفة انه افتتح الحروب مع المرتدين ولما ظفر بمسيلمة الكذاب واجتمع كثير من ذوي الردة الى الاسلام ووجه عزائمهم الى ارض فلسطين والشام وحول قبلة وجوههم من الفتك الذي الفوه في زمن الجاهلية الى فتح البلدان ونشر الدين الاسلامي ولكن عاجله الاجل دون بلوغ الامل بعد حكم سنتين وثلاثة اشهر .

اسماء الرسول واعوانه وحاشيته

والحديث عنه

وضع العرب للذات الالهيـة تسعة وتسعـين اسماً يقال لها اسماء الله الحسنى ولصاحب الشريعة السمحاء مئتي اسم واسم ، ولا حاجة بنا الى ذكرها لتعددها وموضوع الكتاب تخير اللباب دون القشور ولله ورسوله غنيٌّ عن هذا التعظيم والتفخيم ، وحسبهما تقوى المؤمنين وطاعتهم وحفظ مثالهما باعمال الخير والصلاح

واعوان الرسول اربعة الصحابة ، والتابعون ، والمهاجرون ، والانصار ، فالصحابة هم الذين ادركوه ، والتابعون هم الذين ادركوا اصحابه ، والمهاجرون هم الذين هاجروا معه من مكة الى المدينة ، والانصار هم الذين نصروه في المدينة ورحبوا به لما هاجر اليها

والحديث ماجاء عنه ، والخبر ماجاء عن غيره ، والاثر ماروي عن اصحابه ، ويجوز اطلاقه على كلامه ايضاً . واما حاشيته فهو عائشة زوجته ، وفاطمة الزهراء ابنته زوجة علي بن ابي طالب ، والحسن والحسين سبطاه منها ، وحليمة بنت ذؤيب السعدي مرضعه

وبلال مؤذنه ، وابوطيبة حاجبه ، ونعيمان بن عمرو مزّاحه ، وعبد الله ذو البجادين دليله ، والعقاب رايته ، والفيدان قدح كان يبول به ، ودلدل بغلة شهباء اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع جارية يقال لها مارية القبطية ، والقصواء ناقته ، ويعفور حماره ، واللحيف فرساه ، والبراق جواده الذي ركبه ليلة المعراج وهي الليلة التي عرج فيها من مكة الى القدس ومنها الى السماء

وليلة القدر هي التي انزل عليه فيها القرآن ، واما السبع الطول من القرآن فهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس والانفال والبراءة جميعاً.

درس وتحليل

من الكاتب على مزاعم النصرانية نحو الاسلام

اختلف المؤرخون جد الاختلاف فيما زعمه النصارى من خروج خلفاء الرسول واتباعه عن العهد الذي قطعه لحسن معاملة النصرانية واوجبه على المسلمين عامة

فوالله ما كان المسلمون ليحيدوا قيد شعرة عما ورد في القرآن الشريف من ذكر الخلوص والمودة لاهل الكتاب ولا يغيروا حرفاً واحداً من عهده ويخفروا ذرة من ذمته وانما هي مزاعم وتخرصات من بعض المفسدين الموسوسين بين الامتين ليثيروا بينهما عوامل الخلاف والفتنة بل هي اصابع السياسة الخارجية التي كانت تلعب من وراء الستار ، لاستغلال تلك المثالب والفتن والتوصل بها الى احتلال اراضي المسلمين التي امتلكوها بأثمن الارواح والدماء

ولا يعقل ان يظلم خلفاء الرسول ومن جاء بعدهم من الملوك امة اوصى بها الرسول وأنزل في كتابه الكريم آية صريحة تشير الى القربة والمودة بينهما

لا بل على عكس ذلك كانت النصرانية تتمتع في زمن

الرسول وبعده بملء الحرية والحق في الحياة وكان الملوك لا يفرقون بين شعراء الاسلام والنصرانية ادباً وقدراً كما يدل على ذلك صدر العهد العباسي اذ استقدم الخليفة هرون الرشيد اليه علماء النصرانية وتراجمتها لنقل علوم اليونان الى العربية ، وكان يبالغ في اكرامهم ويغمرهم بالعطايا والمنن

وظل الامر كذلك مدة قرون الى ان انتهت الخلافة الى بني عثمان وورثوا تلك العهود والمواثيق عمن سبقهم واقروا التقاليد النبوية الاسلامية في حماية النصرانية وامروا باكرام رجال الدين وتعظيمهم ومنحوهم من الحقوق والامتيازات مالم يمنحهم مثلها احد من سلاطين النصرانية وملوكها .

ولم يسمع قط ولا ذكر التاريخ ان دولة اسلامية ظلمت امة نصرانية تعيش في كنفها وتتفيأ لواء ملكها واما ما يتقوله بعضهم من ظهور الدسائس السياسية في البلاد وقيام بعض المجازر الدينية بين الطوائف فهذا لا يعني ان العهد قد انتقض بين الملتين وان الاعراض والدماء قد استبيحت والحرمات الدينية قد انتهكت وانما هي نتائج وخيمة لمقدمات فاسدة تمشت عليها سياسة ذوي الاغراض والمآرب الذاتية فادت الى تلك الفظائع والمجازر

ولا عبرة في هذا كله ولا اثر له على كيان الامة وسلامتها اذ يقع الخلاف بين فرق الامة الواحدة ايضاً ويحدث بينها انقساماً

الى حين وانما لا يطول عهده حتى تعود المياه الى مجاريها وتركد ريح الفتنة فيستتب الامن والسلام .

والله ما اقول ذلك وانا عربي مسيحي لاشفي غيظاً كامناً في النفس بل لابكي ملك العرب، واملأ الدنيا نشيجاً وشهيقاً عليه فما الفرنجة بخير من العرب واعدل منهم لو طبعوا مثلهم على غرار النبي ، وحفظوا عهده الشريف ، وجمعوا شتات الامة العربية من جميع الاجناس والعناصر ، ونفخوا فيها روح الاخاء والمساواة

ان الرسول «صلعم» مع نور السليقة الذي انبثق منه ، وتقهقر العلم في ذلك العصر ، انشأ ديناً ، ووضع شريعة ، وآلف امة ، وفتح فتوحاً ، وبسط على آفاق الدنيا ملكا طويلا عريضاً ، فكيف لو انبته عصر كعصر لينين ، واتاتورك ، وهتلر ، وموسوليني مع تقدم العلم ، وانتشار نور الحضارة ، ووفرة الوسائل الفنية ، والاعتاد الحربية

ولذلك نثبت ان النبي العربي كحواريي عيسى أوتي العلم من فوق ، واهبط عليه وحي الروح ، فدعا الناس الى الاسلام ، ونادى لا آله الا الله حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح ، فرددت الاجيال هذه الآية من اقصى المعمور الى اقصاه ، وخفقت راية العقاب من شواطيء البحر الاحمر الى ماوراء البحر المتوسط وتخوم الاطلنتيك وكانت دول وممالك زاهرة سار فيها الدين الى جنب العلم والسياسة

وبلغ مجد العرب اعلى القمة ، ثم اخذ يتدحرج عنها كما تدحرج مجد اشور ونينوى وبابل واثينا ورومة والقسطنطينية وقرطجنة ولم يبق منه غير صدى ذكر اثيل يرن رنين وتر القوس في مسامع الاجيال والدهور .

واني لتحضرني الساعة ذكريان اليمتان ، اصعد لهما الزفرة تلو الزفرة ، سقوط عرش بني أمية من الفيحاء ، وخروج الحسن ابي عبد الله من غرناطة الاندلس ، كما خرج آدم ابو العالمين من جنة الفردوس .

والله ما انسى علياً حتى اذكر معاوية وما اكفر بالعرب حتى اتمثل الاندلس ، وما اعلم ماهي عظمة الملوك حتى اتصور عبدالرحمن الناصر يفتح له الاسبان ابواب قرطبة ليدخل ، والاسبان اهل عز وفتوح ، ثم تعاودني ذكرى وقوف ابي عبد الله امام الملك فرديناند ، والملكة ايزابل وبيده مفاتيح غرناطة يسلمها اليهما ، ويخرج من فراديس الاندلس هائماً على وجهه ، فاشهق شهقة المتحسر الباكي ، واصيح واسوأتاه من خلاف العرب ، والهفتاه لجامعة رسول العرب واحر قلباه من زوال عز الاسلام ، ومجد العرب .

اصل القضاء بين الاسلام وتطوره بعده

لم يكن القضاء بين العرب قبل الاسلام مسنوداً الى احكام شرعية وانما كان يتولى الحكم رؤساء العشائر والقبائل وذلك بالاخذ من القوي للضعيف ، ونصرة المظلوم على الظالم ، واجارة المستجير ، وتأمين الخائف ، ورفد المسترفد ، وقضاء حاجة الطالب على نحو ما وقع في تحالف بني هاشم واسد وزهرة وتيم لمثل ذلك والرسول يومئذ بينهم وهو في مقتبل الشباب

واما بعد الاسلام فكانت الاحكام تجري على مقتضى ما في معرفة الحكام بالكتاب والسنة والحديث فكانت القضية اذا نزلت بابي بكر اول الخلفاء قضى فيها بما عنده من ذلك ، او سأل من بحضرته من الصحابة الذين كانوا يفتون في زمن الرسول ، والذين كانوا يفتون وقتئذ هم : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمان ابن عوف وعبد الله بن مسعود وابن كعب ومعاذ بن جبلة وعمار ابن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابو الدرداء وابو موسى الاشعري وسلمان الفارسي

وكان من خطط الخلافة الدينية الامامة في الصلاة والفتيا

والقضاء والجهاد وإعطاء الامارة والوزارة والحرب وجباية الخراج وملاحظة امور المساجد العامة وضرب السكة للنظر في النقود والتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من النقص والغش الى ماهنالك من شؤون المسلمين ومصالحهم وهو معروف مشهور

وكان الخليفة عمر بن الخطاب اول من استناب في القضاء بعد ما كان الخليفة يباشره بنفسه وكتب لمن فوض اليه ذلك الكتاب المشهور الذي عليه تدور احكام القضاة ومن بعض مافيه البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً اوحرم حلالا وان يراجع نفسه فيما يقضي ويرجع الى الحق وان المسلمين عدول بعضهم على بعض الا من كان مجلوداً في حد . او مجرياً عليه شهادة زور او ظنيناً في نسب او ولاء

وانني لافضل الفطرة الحكم بنور السليقة على الحكم بمقتضى الشريعة فالشريعة لا تخدع ولا تُخدَع . والشريعة واسعة مجال الظن والاجتهاد تضيع بين ايدي ذوي الميل والهوى ، ويفسدها زيغ الناس وطغيانهم وتنكبهم عن طريق الحق ومحجة الاسلام ، فتصير آلة لعبث القوي بالضعيف، وسطو الغني على الفقير ،واستعلاء الظالم على المظلوم وهو مالايأمر به الله سبحانه وتعالى ، ولا يرضاه حبيبه ورسوله (صلعم)

واما الحكم في عصر فتر فيه الدين بين المسلمين والمسيحيين

وخبثت الضمائر وفسدت السرائر فيجب ان تصحح وتعدل فيه الشرائع والاحكام ويبلغ امر القضاء الى ناضجي العقول الواسعي النظر والخبرة من وجوه الاحكام ومناحيها لكي لا يشكل عليهم الحكم عند اعتياص الشبهات والتباس المبهمات .

ولا يجب ان يعوّل على شهادات الناس وأيمانهم في بعض نواحي القضاء ، وانما على استدلال عقل القاضي ووجدانه وقوة حكمه الذاتي في الامور الغامضة لان ابواب الظنون والاحتمالات العديدة في بعض الدعاوى تزيد النواحي المظلمة ظلاماً فلا يبدد ظلامها الا نور الوجدان والاجتهاد .

ومن الاسباب المضللة في شكل قضائنا اليوم فوضى المحاماة وكثرة عدد المحامين ووقوع اصحاب المشاكل والدعاوي الكثيرة بين ايديهم مع طمع هذه الفئات المتعيشة بكسب المال واستحلال كل محرم في سبيل الحصول عليه فتراكمت الدعاوي على القضاة واسدلت وراءها حجب الغموض والنسيان والله اعلم متى تخرج من تلك الخبايا واي شكل من الحكم تبرز به بعد ذلك الاحتجاب الطويل .

مذاهب الفقه الاربعة

المالكي ، والحنفي ، والشافعي ، والحنبلي

ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب زاد تفرق الصحابة فيما افتتحوه من البلدان فكانت الحكومة تنزل في المدينة او بغيرها من الامصار فان كان عند احد الصحابة الحاضرين اثر من الحديث حُكم به والا اجتهد امير البلدة في القضية التي ترفع اليه واخرج فيها حكماً بما بلغ الى محفوظه ومفهومه من ذلك .

ومن ثم انتدب نخبة من العارفين لجمع الحديث وتقييده ، فكان اول من دونه محمد بن شهاب الزهري وكان اول من صنف فيه وبوّبه سعيد بن عروبه والربيع بن صبيح في البصرة ومعمر بن راشد في اليمن وابن جريج في مكة ثم سفيان الثوري في الكوفة وحماد بن سلمة في البصرة والوليد بن مسلم في الشام وجرير بن عبدالحميد في الريّ وعبد الله بن المبارك في مرو وخراسان وهشيم ابن بشير في واسط وتفرد في الكوفة ابو بكر بن ابي شيبة بجودة التصنيف وتكثير الابواب فوصلت الاحاديث من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منها

وكان ابو جعفر المنصور رأس الخلفاء العباسيين اول من تعلم الفقه وغيره من العلم فاشار على الامام مالك بن ابي عامر بن عامر بن الحرث الاصبحي بتأليف كتاب في الفقه ولذلك قال له يوماً يا ابا عبدالله لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك وانا قد شغلتني الخلافة فضع انت للناس كتاباً ينتفعون به وتجنب فيه رخص بن عباس وشدائد ابي عمر ووطئه للناس توطئة ، قال مالك لقد علمني الخليفة التصنيف يومئذ ولذلك سمي كتابه الموطأ وبعد ان اشتهر مذهبه توفي في ايام خلافة هرون الرشيد سنة ١٧٩ للهجرة و٧٥٩م

وفي خلافة هرون الرشيد نفسه ظهر الامام ابو حنيفة النعمان ابن ثابت بن المرزبان الفارسي فوضع مذهباً في الفقه تقدم على غيره من المذاهب .

ويحكى عن الامام ابي حنيفة انه توفي في حبس هذا الخليفة لكونه لم يقبل منصب القضاء الذي كان يدعوه اليه وكان يجلده كل يوم عشر جلدات وقيل انه توفي مسموماً سنة ١٥٠ للهجرة و٧٦٧م

ثم ظهر بعده مذهب الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المعروف بالشافعي توفي في خلافة المأمون العباسي سنة ٢٠٤ هـ و ٨١٩ م ، وظهر بعدهما ايضاً الامام احمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني ووضع مذهبه المعروف بالحنبلي توفي في عصر خلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٤١ هـ و٨٥٥ م

تلك هي المذاهب الاربعة المعتبرة في الفقه ولكل منها جماعة تميل اليه في البلاد الاسلامية وانشئت لاجلها المدارس والحوانك والزوايا والربط في سائر البلاد وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه ولم يولَ قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدم للامامة والخطابة والتدريس احد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وقد افرغ أيمتها ومقلدوهم كنانة جهدهم بجمع اقسام الفقه على ثلاثة اطراف اولها العبادات وهي ما حق لله على الناس ، والثاني البيوع وهي ما حق للناس على الناس ، والثالث الفرائض وهي ما حق للاحياء من الاموات .

وكان لباس القضاة من قبل لا يتميز عن لباس الناس عامة ولما تولى القضاء في ايام الخليفة هرون الرشيد ابو يوسف يعقوب ابن ابراهيم بن حبيب الانصاري صاحب الامام ابي حنيفة وكان فقيهاً عالماً دعي قاضي القضاة فكان اول من سمي بذلك وهو الذي غير لباس العلماء والقضاة الى هذه الهيئة التي هي عليها الان توفي سنة ١٨٠ هـ و ٧٩٨ م

هذا ومع ما كان من قوة العقل والمنطق وغلبة الضمير والتقوى في الشريعة السمحاء وسعة المذاهب الاربعة التي عددناها في الفقه الاسلامي المنيف ظلت العناصر غير المسلمة بعد موت الرسول تتمتع ابداً بفضل ذلك العدل والتقوى اللذين اتصف بهما

(صلعم) اذ لا عبرة بسعة المعرفة وغزارة العلم عند كمال النفس وسمو الروح في الرسول او المشترع فاللفظ انما هو هيكل الشرع كالجسم للانسان ، والمعنى هو الروح التي تقوم بها حياة الهيكل المكنى به عن الفقه المذكور ، ولعل فقدان هذه النفسية في خلفاء المسيح ومحمد وميلهم الى مجد الرئاسات وحطام الدنيا هو الذي صدع شمل المؤمنين في العالم وساعد على انتشار الشيع والبدع المتضاربة في الاسلامية والمسيحية واستفحل امره في عصرنا هذا فادى الى الشيوعية والفوضوية والعياذ بالله من مذاهبهما ومبادئهما المتطرفة

ولكننا في الحقيقة نحكم بان كلتا الناحيتين الدينية والشيعية متطرفتان اذا نظرنا الى قاعدتي المسيح وتلستوي زعيم الشيوعية بانه لا يجوز ان يقاوم الشر بالشر ، والظلم بالظلم ، والدينيون انفسهم قاوموا الشر بالشر سحابة القرون الوسطى ومثلوا في خصومهم تمثيل الفوضويين فيهم فخرجوا بذلك على التعليم الذي ورثوه من واضعي اسسه ومبادئه القويمة وكانوا سبباً في ظهور الفوضوية والعدمية وموضع حجة ونكير لكل من تسول له نفسه ان يكفر بالله ويتجرأ على انبيائه ورسله

ولعل ذلك مارمى اليه ملك صهيون بقوله الويل لمن تأتي على يده الشكوك الخ . ولو وجب ان نعمل بقوله هذا فكم من

المشككين والمضللين كان على المنذرين والمصلحين ان يزجوا في قاع البحر!...

وانه لاروع وافظع من جرجرة السلاسل والقيود، وحمل الاعناق حجر الرحى ماذاقته الانسانية سحابة القرون الطوال من صنوف التعاذيب والويلات في ذمة الدين ودعاته واتباعه مما تبرأ منه ابعد القبائل الهمجية عن الدين والتمدن واشدها توغلاً في القسوة والبربرية.

ويخيل لي والحال على ماذكرت اننا على مفرق طريقين لا بد من ايثار احدهما على الاخر فاما ان نعود الى القديم ونتقيد بشرائع السماء ونصدق ما ادعى اولياء الله وانبياؤه من الوحي على سبيل الايمان والتسليم واما ان نعتقد بمبادىء العلم وحقائقه المسلمة ونسير على النور الذي يرشد اليه العلماء والفلاسفة ونحور شرائعنا وانظمتنا الاجتماعية مع تعديل معقول في الخطط والمناهج الدينية اجتناباً للمثالب والمشاغب الفوضوية واتقاء للاصطدام الوبيل بين شرائع الارض والسماء.

وهذا الكتاب هو احدى البذور الجديدة التي القيها في تربة الوطن المثقف وصدى تعليم المسيح ومحمد ومن سبقهما من رسل الاديان والمذاهب العقلية الفلسفية في الهند والصين وبلاد

فارس وغيرها من ارجاء الشرق ، الا انه ينقر على وتر الحب والتسامح بين الاجناس والملل ويقضي بملاشاة روح التعصب وقتل النعرات والعنعنات الدينية والطائفية وتكوين وطن واحد لايتعارف الا بالقومية الواحدة والوطنية الواحدة بحيث يتألف من الاجناس والملل قاطبة امة شرقية عربية لها حضارة واحدة وثقافة واحدة ، وهذا هو اساس القومية ومعنى الحرية والاستقلال .

الامة بثقافتها

فاذا ذهبت ذهب كيانها واستقلالها

لما كان الاسلام في عنفوان مجده والخلافة الهاشمية في رونق عزها كانت الثقافة العربية زاهرة شرقاً وغرباً بلغتها وعلومها ومعارفها واعلامها وآثارهم الرائعة

ولو اكتفى اولئك الاعلام بما ورثوه من كتب الدين والفقه ولم يزيدوا استبحاراً في العلم واستنباطاً في الفن وايغالاً في الفلسفة لما كان اليوم بين ايدينا شيء نستضيء به ونرجع اليه ونفاخر به سائر الامم .

اولئك كانوا ارباب اللغة ارباب الثقافة وقد حرصوا عليها واستماتوا دونها ونحن مع كوننا قومة على تراثهم حفظة بالنقل والنسخ لما بين ايدينا من اعلاقهم وآثارهم لم نحرص حرصهم على هذه الودائع ولم نحسن ان نتخذ منها ثقافة حية لنا بل اكتفينا بما استبقته الاجيال من كتب الدين والفقه ورضينا بان القرآن يجمع بين الدين والدنيا فحفظناها كالذكريات والبقايا القديمة واغفلنا النظر الى ثقافتنا البائدة وحلول الثقافة الفرنجية محلها فلم يمض ردح من

الزمن على انتقال الخلافة الى الاتراك واشتغالها بالفتوح والحروب التي داهمتها اوروبا بمشاكلها وقضاياها السياسية المعقدة حتى كانت اصابع الدول تمتد الى بث روحها ونشر ثقافتها في البلاد العثمانية وتعامت السلطنة التركية عما هنالك من دس السم في الدسم او سمحت لها بذلك قضاء على العرب واللغة العربية فاخذت روح القومية تموت وتتلاشى رويداً رويداً حتى كان الانقلاب التركي واعلن الدستور العثماني فظنت رعايا الدولة على اختلاف النحل والملل انها ستتساوى جميعاً في نظر القانون وتؤلف امة واحدة لوطن واحد يجمع الكل تحت لوائه ولكن ابت عداوة اللغة والجنس المتأصلة في عروق الامم ان تنتعش اللغة العربية ويقوى العرب ويتمتعوا بالسيادة والحرية في بلادهم فاخذوا يبعثون فكرة التتريك بين عناصر الدولة ويسعون لتعميم اللغة التركية ونشر ثقافتها دون الثقافة العربية ، واذ ذاك شعر العرب بما كان ينويه الترك فغضبوا على عمال الاتحاديين وهبوا لمناوأتهم وثاروا ثورتهم المشهورة في اثناء الحرب الكونية وخلعوا النير التركي عن رقابهم املاً باستقلالهم الحقيقي وتحرير بلادهم ولكنهم وا اسفاه حملوا نيراً آخر اثقل واشد وهربوا من مزاحمة الثقافة التركية فوقعوا في حبائل الثقافة الفرنجية التي لا مخرج منها ولا مهرب

واذ الامر كذلك فعلينا نحن الامم الشرقية ان نتعصب لامم

الشرق كما يتعصب الغربيون لاسم الغرب فلا نرضى بسيادة مهما كانت علينا ولو كان فيها حياتنا وبعثنا من الرمس فكما كان اسلافنا اساتذة العالم بعلمهم وجدهم واجتهادهم هكذا يجب علينا ان نكون اساتذة لا تلامذة نتمثل باقوال الغريب ونتشبه باعماله وعاداته واخلاقه فالغريب اخذ عنا ثم عمل وكمل ونحن علينا ان نعمل ونكمل

بنى لنا اسلافنا ما بنوا وأنشأوا من الديانات والشرائع ما انشأوا واورثوا من المدنيات والعلوم ما اورثوا ولكننا لم نحذ حذوهم ولم نقتف خطاهم

وادعينا اننا نقدس الانبياء ونعمل باقوالهم ونتهالك في طاعتهم واليهود انفسهم خالفوا انبياءهم والمسلمون خالفوا نبيهم والمسيحيون خالفوا مسيحهم فاصبحنا باجمعنا والحالة هذه لا في العير ولا في النفير فلا نحن من الديانات على شيء ولا من المدنيات على شيء

من من الشعوب في احط بلاد العالم يرضى بان تعلم غير حكومته افراد ناشئته وتتقدم لغة في العالم على لغته وتدخل روح غريبة في البلاد غير روحه أليس هذا هو العبودية عينها فكيف نحارب العبودية من ناحية ونرحب بها من ناحية اخرى

أنقاتل بالجيش والسلاح كل عدو طامع في بلادنا ، ونربي ونعلم اولادنا في مدارس العدو ونسلحهم بسلاحه ضدنا أجهل بعد هذا الجهل ؟ وجنون بعد هذا الجنون ؟ ثم بعد ذلك كله بعد

خروجنا عن طاعة انبيائنا واعلامنا سادة العالم نلقي التبعة على موسى وعيسى ومحمد وندعي اننا براء من كل خطيئة وسيئة ؟؟

قد كان لنا والسلطة بيد غيرنا عذر دون ايثار لغتنا على غيرها وتقديم ثقافتنا على ثقافة الاجنبي واما اليوم ونحن اصحاب السلطة والشأن في بلادنا فما الذي يمنعنا عن تقديمهما في مدارسنا وتقييد المدارس الاجنبية بنظام تعليمنا الوطني كما تفعل حكومات العالم الراقية .

أليس من حق نظارة المعارف السورية واللبنانية ان تتولى السيطرة على التعليم والمدارس والكليات في سوريا ولبنان ؟ أليس من حق الحكومة الوطنية ان تسهر على روح التربية القومية في البلاد وتنشيء افراد الامة تنشئة سياسية حرة ؟؟...

هذه هي الاسباب الكبرى التي تثير العربي والسوري على الروح الاجنبية ، وتدفعه عند خلو الجو السياسي الى رفع لواء قوميته والجهر بوطنيته ولئن ظهرت احياناً بمظهر ديني فالتربية الدينية التي نمت وتأصلت اجيالا في الشرق تغلبت على التربية القومية الوطنية التي كانت لا تكاد تعرف .

هكذا شاء الرسول ان يجمع الدين الى السياسة في زمن كان امراء العرب يتنازعون الخلافة كما تنازع بطاركة النصارى الخلافة البابوية في دورهم ايضاً فافسد احدهما الاخر وندًّا كلاهما عن

بلوغ الغاية .

ولنا قاعدتان راسختان في بنيان الحلف العربي المقدس وتوطيد الجامعة السورية اللبنانية في الوطن والمهجر وهما اعلان الثقافة الشرقية البحتة في الكليات والمدارس ، وتربية الناشئة تربية وطنية سياسية

نعم على هاتين القاعدتين لا سواهما نبني نظام الفتنا الجديد ، وتحت لواء القومية والوطنية نجمع الكل امة واحدة وجامعة واحدة وكتابي هذا يحمل دوح التحاب والتفاهم الى كل سوري ولبناني وعراقي وحجازي ومصري تحت كل سماء وكوكب وانا أتشرف بان ارفعه الى كل ملك عربي ورئيس حكومة سورية ولبنانية والى كل مركز ديني في الشرق لكي يباركوا مبدأه القومي وروحه الوطنية ويامروا بنشره وترويجه في ممالكهم وتحت لواء سيادتهم في كل زمان ومكان وحسبي ان اكون اصبت به الهدف الذي ارمي اليه وبلغت الغاية التي اتوخاها والله الهادي والموفق الى الصراط المستقيم .

خاتمة الكتاب

فلسفة السياسة والقانون

قد يكون العهد الذي اوردناه عن الرسول في جانب النصارى صحيحاً وقد لا يكون ، فليس هذا غرض الكتاب وانما غرضه ان تتناسى الماضي وسيآته و نتخذه درساً وعبرة للحاضر والمستقبل

ان الماضي يا ابناء قومي اشبه بمرآة غير طبيعية اذا مررنا امامها صورتنا بمشاهد وهيئات مضحكة ، وابشع تلك المشاهد التعصب الديني القديم الذي فرق بين اجناس الامة وعناصرها وجعلها مدة ستة اجيال تحت سيادة الدولة التركية وسيطرة حكامها المستبدين ثم انتقلت بعد الحرب الى سيادة الدول الغربية وسيطرة الانتداب وربما مرت عليها ستة اجيال اخر وهي على حالها من التعصب والانقسام الى ان يقضى على قوميتها ووطنيتها القضاء المبرم الاخير .

نعم ان التعصب القديم خف في الظاهر بين افراد الناشئة المتعلمة ولكنه يزداد في الباطن استحكاماً لان المسلم ينظر الى المسيحي الحاكم شزراً كما كان ينظر اليه المسيحي في عهد حكمه

وسلطانه ولم يعتبرا كلاهما بامثولة الدهر التي القتها عليهما تلك الحكومات والادوار السالفة

وانجع دواء لهذا الداء ان نصلح حال الامة في ثلاثة : المدرسة . والجندية . والمساواة بالحقوق والواجبات ، فالمدرسة اعني بها المدرسة التي تنشئها الحكومة لتعليم ابناء الامة تعليما وطنياً وتربيتهم تربية قومية سياسية

والجندية اعني بها الخدمة العسكرية التي يحارب المسلم الى جنب المسيحي في صف واحد لحماية الوطن ويشعر كل منهما انه اخو الآخر في تلك الخدمة

والمساواة بالحقوق والواجبات اعني بها ان تعدل الحكومة في المسلم والمسيحي وتساوي بينهما اي ان لا تطالب احدهما بواجب مالم تؤد له حقاً ولا تقلد اعمال الدولة الا الكفوء منهما وهذا التكافؤ بين الحقوق والواجبات هو قسطاس الحق واساس العدل

ولكل من هذه الثلاثة التي تقدم تعريفها نظام يختص بها كنظام التعليم ونظام الجندية والقانون العام التي تحكم بمقتضاه الامة

والحق في سن هذه الانظمة لمجلس شورى الدولة وحق تصديقها للمجلس النيابي والمجالس التشريعية والنيابية كلها يجب ان تمثل فيها ارادة الامة والاساس الذى تبنى عليه كل هذه الانظمة والقوانين هو الدستور

فالامة التي لادستور لها لا ارادة لها ولا حكومة لها واذا لم يكن دستور فلا يجب ان ننظر الى شكل الحكومة ما هو والى شخصية الحاكم ما هي

فلا شكل لحكومة بدون قانون ولا حق ولا شخصية لحاكم بدون قوة فالقانون والحق والقوة سلسلة مرتبطة حلقاتها بالحكومة الدستورية

وعلى ذلك فالبلاد كلها مجردة من هذه الحقوق والحكومة تطالبها بواجبات لامسوغ لها بناء على القياس المنطقي الذي قدمناه

بمثل ذلك كانت تحكم السلطات القديمة هذه الشعوب المظلومة وترتبط كلها بقوة الفرد فما يأمر به الفرد وينهي عنه كان نافذاً مقضياً ولو طارت به الارواح وطلت الدماء

واما اليوم فنحن لسنا بحاجة الى مثل هذه العهود لان الحكم الفردي مات بموت اولئك الافراد العتاة وسقطت الحكومات الارستوقراطية التي كان يتوارث فيها الملوك العرش والسلطان وقامت مقامها الحكومات الديموقراطية ذات الدساتير والقوانين العادلة

ولا نسلم ان الامة تصل الى هدفها بتكوين حكومة ديموقراطية وسن دستور كامل مالم يسد بين افراد الامة روح القومية وحب الوطن

ولعمري كيف يسود روح القومية وحب الوطن والتعليم

ليس واحداً والتربية السياسية ليست واحدة

وهل يتوحد التعليم والتربية في بلادنا بدون ثقافه قومية لنا

واذا لم يكن لا هذا ولا ذاك فكيف يكون لنا دستور وحكومة دستورية وحكومتنا وقوانينها وقراراتها من صياغة غيرنا ونحن واياها آلات مسيرة وتماثيل متحركة تتجه في سيرها الى غير الهدف الذي يجب ان تصل اليه الامة .

على اننا اذا اردنا ان نقيس معارف العصور التي تقدمتنا بمعارف هذا العصر ونقابل بين عقائدهم الدينية وعاداتهم القومية وبين عقائدنا وعوائدنا اليوم لحكمنا على انفسنا بالتقهقر والانحطاط مراحل عنهم ، ولو اوتينا السلطان والقوة كما اوتوا هم في تلك العصور لبلغ حكامنا وساداتنا من الجور والاستبداد والتحكم في رقاب العباد مالم يبلغه احد من اولئك الخلفاء والملوك

ومع ذلك فاية ضمانة يمنحها حكام هذا العصر للشعوب الضعيفة كالضمانة التي كان يمنحها ملوك ذلك الزمان لمن هم تحت ولايتهم وكفى بذكر عهد الرسول ايماناً بعدله وتعظيماً لقدره

وانه لمن الخطأ ان نجادل في صحة هذا العهد مادام الذين كتب في حقهم يعتقدون به ويؤمنون بعدل الرسول

على ان بعض الغلاة ينكرون مبناه ولا ينكرون معناه ويؤثرون حكم التاريخ على حكم الايمان والاعتقاد فهم يريدون ان يذكر التاريخ لهم كل شيء والتاريخ قد يهمل احياناً اموراً كثيرة لايرى حاجة لذكرها

ولعمري اية حجة نقدمها لمن ينسبون الى الاسلام والمسلمين تلك المظالم التي يحتمل ان يرتكبها بعض الملوك اذا لم نستعن على ذلك بهذا العهد الشريف .

ولا يخفى ان في عرف الناس وعاداتهم اذا شاؤا التعارف والتقارب بينهم ان يرجعوا الى ما ابقت لهم الاجيال من العهود والمواثيق لكي يتناسوا ماوقع بينهم من الاحن والعداوات وقياساً على ذلك قد بحثنا في زوايا التاريخ عن هذه الحجة فعثرنا عليها ولم يخطر لنا ان احداً من اعوان الصلح والسلام بين عناصر الامة يرد علينا هذه الحجة او يطعن علينا في الغاية التي نرمي اليها لايجاد التفاهم النفسي والتقارب الديني والاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين

بيد ان الغرض من نشر هذا الكتاب ليس لتبيان حقائق تاريخية او لفتح باب الحوار والجدال على ما طمسه واغفله التاريخ وانما لاتخاذ الاحكام والحوادث القديمة درساً وعبرة لنا عندما نريد ان نشذ عن محور الحق والعدل في حكم بعضنا بعضاً .

فاذا وقع في بعض مواضع من هذا الكتاب ما يخالف علم بعضهم من شؤون وعبر التاريخ فانا ابرأ اليهم بكوني لا ادعي العصمة ولست اول من شطّ قلمه في سرد وقائع تاريخية كما ذكرت غير ان الغاية تبرر الواسطة وحسن النية يغتفر ما هنالك من سوء المظنة وشبهة الذنب .

وقبل ان آتي على عبارة الختام انصح لكل قاريء ان لا يعرض عن الكتاب قبل مطالعته صفحة صفحة ولا يحكم عليه قبل ادراك معناه والغرض الشريف من نشره وحسبي ان اكون قد احسنت النية وأخلصت لامتي القصد والله الموفق الى الصلح والسلام .